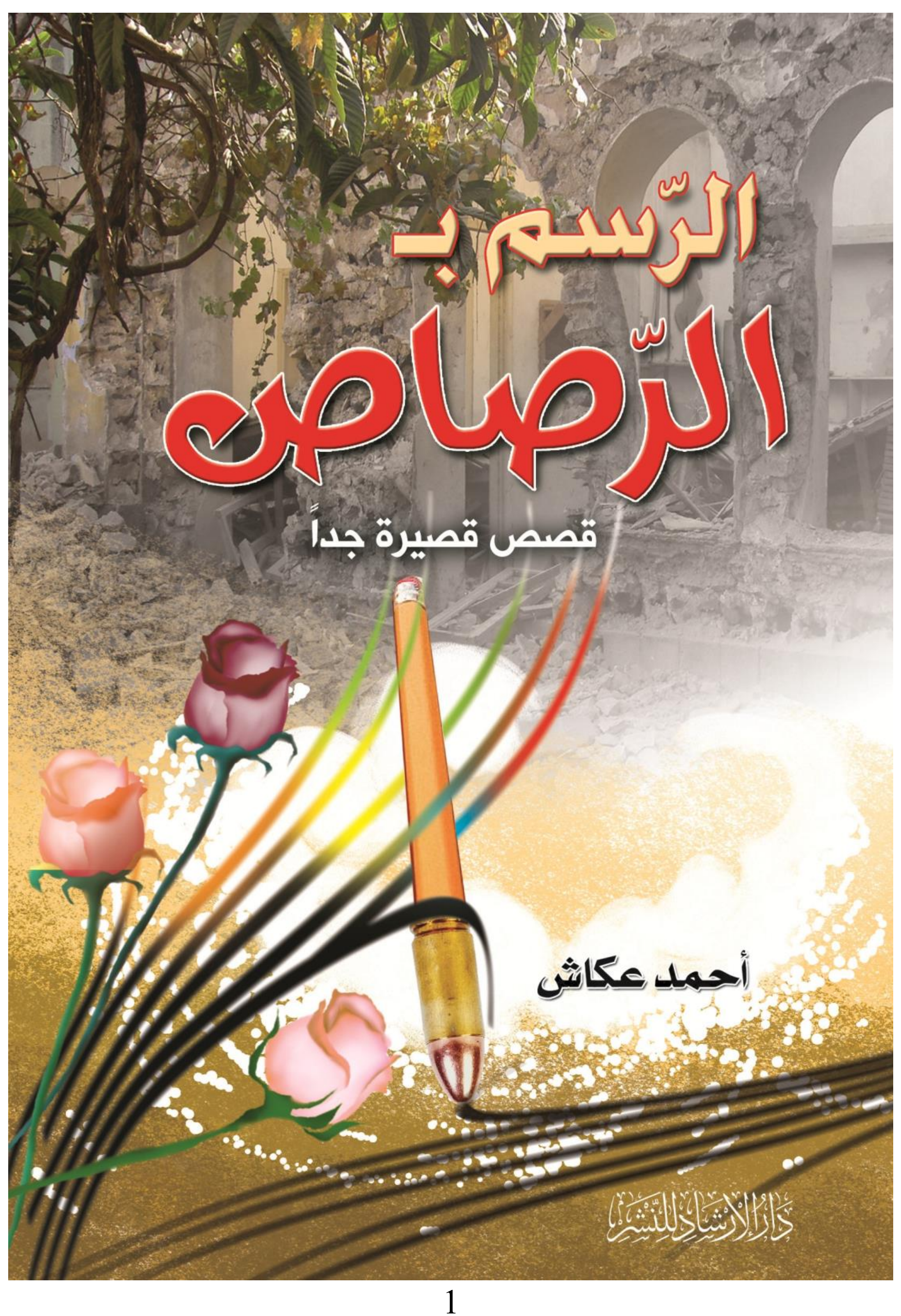

الرّسم بـ
الرّصاص
قصص قصيرة جداً
أحمد عكاش
دار الإرشاد للنشر

الرَّسْمُ بِالرَّصَاصِ

قِصَصٌ قَصِيرَةٌ جِدّاً

تأليف

أحمد عكاش

مُقَدِّمَةٌ

((القِصَّةُ القَصيرَةُ جدّاً)) وَليدٌ لا يزالُ يَشُقُّ سَبِيلَهُ إِلى سَاحةِ (فُنُونِ الأَدَبِ) بِصُعُوبَةٍ، ولَكِنْ بِعِنَادٍ وَثِقَةٍ، شأْنُهُ في ذَلكَ شَأْنُ كُلِّ مُبْتَدَعٍ حَدِيثٍ، فَهُوَ يُلاقِي مِنَ النُّقَّادِ وَالأُدَباءِ مَا لاقَتْهُ (القِصَّةُ القَصِيرَةُ) نَفْسُهَا مِنْهُمْ فِي النِّصْفِ الثّانِي مِنَ القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ، يَوْمَ أَتَى بِهَا (مُوبّاسانُ)[1]؛ قالَ الدُّكتورُ (رشادُ رُشْدي) في كِتابِهِ (فَنُّ القِصَّةِ القَصيرةِ):[..ولَقَدْ جاءَتْ قِصَصُ (مُوباسّان) مُختلفةً عن كُلِّ مَا سَبَقَها مِنْ قِصَصٍ حَتَّى أَنَّ النّاسَ رَفَضُوا أَنْ يَعْتَرِفُوا بِهَا فِي بَادِئِ الأَمْرِ..، لَكِنَّ الأَيَّامَ مَا لَبِثَتْ أَنْ غَيَّرَتْ هَذَا الرَّأْيَ].

فَأُدَبَاؤُنَا الآنَ حِيَالَ هَذَا الوَلِيدِ الحَادِثِ يَنْقَسِمُونَ فِئَاتٍ، فِئَةً تُرَحِّبُ بِهِ وَ(تُصَفِّقُ)، وَفِئَةً تَسْتَهْجِنُ وَ(تُصَفِّرُ)، وفِئَةً ثَالِثَةً لائِذَةً بِالصَّمْتِ تَنْتَظِرُ إِسْفَارَ العَاقِبَةِ.

-فَ (المرَحِّبُونَ) يَرَوْنَ أَنَّ الحَيَاةَ تَتَطَوَّرُ بِسُرْعَةٍ، وَيَرَوْنَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ يُجَارِيهَا فِي تَطَوُّرِهَا، وَمَا لا يُمَاشِيهَا سَيَقِفُ مَكَانَهُ جامِداً مَشْلُولاً، فَإِذَا بِهِ بَعْدَ بِضْعِ سَنَوَاتٍ يَغْدُو غَريباً تَمُجُّهُ الأَذْوَاقُ، وَتَنْبُو عَنْ رُؤْيَتِهِ الأَحْدَاقُ، فَيَؤُولُ إِلَى الاضْمِحْلالِ، وَيَرَوْنَ أَنَّ سِمَةَ العَصْرِ الحَالِيَّةَ هِيَ السُّرْعَةُ؛ فَ (نَاقَةُ الأَمْسِ) وَ(حِصَانُهُ) أَمْسَتِ الآنَ طَيَّارَةً وَمَرْكَبَةً فَضَائِيَّةً تَسْبِقُ الرِّيحَ وَالصَّوْتَ، وَأَفْرَزَتْ هَذِهِ السُّرْعَةُ انْصِرَافَ النَّاسِ عَنِ المطَوَّلاتِ إِلَى الملَخَّصَاتِ

1- جي دي موباسّانُ (1850-1893)م أَدِيبٌ فَرَنْسِيٌّ يُعْتَبَرُ رَائِدَ كُتَّابِ القِصَّةِ القَصِيرَةِ فِي القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ.

وَالمخْتَارَاتِ، فَقَدِ اسْتَعَاضُوا بِ (القَصْعَةِ) الَّتِي يُتَوِّجُهَا عِجْلٌ حَنِيذٌ أَوْ خَرُوفٌ مَحْشُوٌّ .. قِطْعَةَ (بِيتْزَا) يَقْضِمُونَهَا وَهُمْ يَعْدُونَ إِلَى شَأْنِهِمْ، فَرُوحُ العَصْرِ إِذَنْ تَقْسِرُ (القِصَّةَ القَصِيرَةَ) عَلَى أَنْ تُمْسِيَ (قَصِيرَةً جِدّاً)، فَهِيَ فِي ذَلِكَ لَيْسَتْ بِدْعاً وَلا نَادَّةً عَنْ نَوَامِيسِ الحَيَاةِ.

وَلِسَانُ حَالِ هَؤُلاءِ يَقُولُ: إِذَا قَيَّضَ اللهُ لَنَا –نَحْنُ أَبْنَاءَ عَصْرِ السُّرْعَةِ– أَدِيباً يَقُولُ لَنَا فِي بِضْعَةِ أَسْطُرٍ مَا كَانَ يَقُولُهُ السَّابِقُونَ فِي بِضْعِ صَفَحَاتٍ، فَعَلامَ نُضَيِّعُ وَقْتَنَا وَنُرْهِقُ عُيُونَنَا.. بِلا طَائِلٍ؟.

وَ(المسْتَهْجِنُونَ) يَرَوْنَهَا دُرْجَةً[2] آنِيَّةً تَسُودُ حِيناً ثُمَّ مَا تَلْبَثُ أَنْ تَضْمَحِلَّ، وَفُقَاعَةً لا تَرِيمُ حَتَّى تَتَلاشَى، لأَنَّهَا تَفْتَقِرُ إِلَى مُقَوِّمَاتِ البَقَاءِ وَالخُلُودِ.

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ فَ (القَصِيرَةُ جِدّاً) هَذِهِ أَرَاهَا تَسِيرُ سَيْراً حَثِيثاً، فَهَا هِيَ مِهْرَجَانَاتُهَا تُعْقَدُ فِي العَدِيدِ مِنْ مُحَافَظَاتِنَا السُّورِيَّةِ، وَمِنْهَا المِهْرَجَانُ الَّذِي أُقِيمَ فِي دَارِ الثَّقَافَةِ بِحِمْصَ، فِي (2و2010/10/3)م، وَالَّذِي بَدَا جَلِيّاً أَنَّهُ لا يَخْتَلِفُ عَنْ مِهْرَجَانَاتِ (القِصَّةِ القَصِيرَةِ) فِي شَيْءٍ، فَقَدْ كَانَ لَهَا حُضُورٌ وَمُهْتَمُّونَ.

–هَذِهِ الملاحَاةُ الَّتِي نَشْهَدُهَا بَيْنَ الأَنْصَارِ وَالمنَاوِئِينَ، مَا كَانَ لَهَا أَنْ تَطْفُوَ عَلَى السَّطْحِ لَوْ أَنَّ هَذَا الفَنَّ الأَدَبِيَّ الوَافِدَ اتَّضَحَتْ مَعَالِمُهُ، وَقُعِّدَتْ أُصُولُهُ، وَصَارَ لَهُ تَعْرِيفٌ جَامِعٌ مَانِعٌ، وَلَزَالَتْ عَنْ وَجْهِهِ هَذِهِ الغِشَاوَةُ الَّتِي تَغْشَاهُ

2- الدُّرْجَةُ: هِيَ الَّتِي دَرَجَ عَلَيْهَا النَّاسُ وَاعْتَادُوهَا، وَيُسَمِيهَا االعَامَّةُ (مُوضَةً).

فَيَبْدُو تَحْتَها غَائِماً غَيْرَ وَاضِحِ القَسَمَاتِ، .. وَالإِنْسَانُ بِفِطْرَتِهِ تَسْكُنُ نَفْسُهُ إِلَى الوَاضِحِ الصَّرِيحِ، النَّائِي عَنِ العَتَمَةِ وَالإِبْهَامِ.

فَ (القِصَّةُ القَصِيرَةُ جِدّاً) كَمَا أَرَاهَا: فَنٌّ أَدَبِيٌّ نَثْرِيٌّ قَاصٌّ، يَمْتَازُ بِالخَصَائِصِ التَّالِيَةِ:

1-**القِصَرُ**: فَقَدْ تَكُونُ بُنْيَتُهَا بِضْعَ كَلِمَاتٍ أَوْ بِضْعَةَ أَسْطُرٍ. [وَ(البِضْعُ) فِي العَرَبِيَّةِ تُطْلَقُ غَالِباً عَلَى العَدَدِ مِنْ ثَلاثَةٍ إِلَى تِسْعَةٍ].

2-**الإِيجَازُ**: وَهُوَ التَّكْثِيفُ فِي عَرْضِ الحَدَثِ، فَهِيَ أَشْبَهُ مَا تَكُونُ بِتَجْسِيدِ (وَمْضَةٍ) وَتَقْدِيمِهَا مَغْسُولَةً مِنْ كُلِّ زِيَادَةٍ، تَرْفُضُ كُلَّ إِسْهَابٍ فِي الوَصْفِ، أَوْ تَرَهُّلٍ فِي التَّعْبِيرِ.

3-**الاتِّكَاءُ عَلَى الرَّمْزِ**: فَهِيَ تُومِئُ وَتُلَمِّحُ وَلا تُصَرِّحُ، وَتَنْأَى عَنِ المُبَاشَرَةِ وَالوُضُوحِ السَّاذَجِ فِي تَبْلِيغِ الفِكْرَةِ.

4-**الاعْتِمَادُ عَلَى المُفَارَقَةِ**: إِذْ تُحَرِّضُ السَّامِعَ وَتَسْتَثِيرُهُ، وَتَسْتَوْفِزُهُ عَلَى التَّفْكِيرِ السَّرِيعِ، فِي كَشْفِ التَّنَاقُضِ فِي المَوَاقِفِ، وَالتَّضَادِّ فِي الصُّوَرِ، فَتُؤَجِّجُ فِيهِ الدَّهَشَ، وَالسُّخْرِيَةَ السَّوْدَاءَ، وَالضَّحِكَ المُبْكِي.

5-**الخَاتِمَةُ المُفَاجِئَةُ**: الَّتِي تَصْعَقُ تَوَقُّعَاتِ القَارِئِ أَوِالسَّامِعِ، وَغَيْرُ المُتَوَقَّعَةِ، الَّتِي قَدْ لا تَمُتُّ إِلَى مَاسَبَقَهَا إِلاَّ بِشَعْرَةٍ وَاهِيَةٍ لا تُكْشَفُ إِلاَّ بِشَيْءٍ مِنَ الرَّوِيَّةِ وَالعَنَتِ.

أَمَّا مَا سَيَأْتِي بِهِ الغَدُ فَلا يَزَالُ رَهْنَ الغَيْبِ، وَاللهُ وَحْدَهُ بِهِ عَلِيمٌ.

أحمد عكاش – حمص، 2/ذو القعدة/1431هـ، 9/تشرين الثاني/2010م

(1) الرسمُ الرّصاصِ

أمسكَ تلميذٌ قلمَ (الرّصاصِ) وَورقةً، وبدأَ يرسمُ، رسمَ وَرسمَ وَرسمَ.. فَامتلأَتِ الورقةُ دبّاباتٍ وَطائراتٍ وأبنيةً مُهدّمةً، ودُمى أطفالٍ متناثرةً بينَ رُكامٍ منَ الأمتعةِ المحطّمةِ، ونساءً يبكينَ أطفالَهُنَّ وأزواجَهُنَّ، وَطيوراً جريحةً، وَانساحَتْ دماءٌ حتّى تقطَّرَتْ منَ الورقةِ، تأمّلَ التّلميذُ قلمَ (الرّصاصِ) حانقاً، وَرماهُ في سلّةِ القُمامةِ قائلاً:

- (الرّصاصُ) لا يجلبُ إلاَّ الموتَ وَالدّمَ.

أخذَ ألواناً مائيّةً وَجعلَ يرسمُ بها: فامتلأَتِ الورقةُ بِالأشجارِ وَالأزهارِ وَالأناشيدِ والضَّحْكاتِ وَالسَّحابِ المثقَلِ بِالمطرِ.

*

(2)- خِطْبَةٌ

فَكَّرَ في الخِطبةِ، وَشرعَ يبحثُ عنْ بنتِ الحلالِ، فرآها أمامَهُ، كلُّ شيءٍ فيها يلمعُ تحتَ أشعَّةِ الشّمسِ، ذِراعاها يَبرقانِ كَمِصباحينِ طويلينِ، شعرُها يتراقصُ معَ النَّسيمِ مَنثوراً عَلَى كتفينِ عاريينِ بَضَّيْنِ، عُنُقُها عاجيٌّ، عمودٌ رخاميٌّ، تُلْقي الأَنوارُ ظلالَهُ عَلَى صدرٍ يصرخُ أُنوثةً، ثغرُها الباسمُ أبداً .. قرصُ عسلٍ مُنَمْنَمْ ..

لكنَّهُ قبلَ أنْ يحزِمَ أمرَهُ ويُقْدِمَ، تذكَّرَ نصائحَ مُعَلِّميهِ في المدرسةِ:

-احذرُوا الحَلْوى المكشوفةَ للشَّمسِ وَالهواءِ، فغالباً مَا تكونُ مَجْلبةً للأَمراضِ.

*

(3)–خَلْفَ القُضْبانِ

قرأَ مُديرُ شركتِنا مَا كتبَتْهُ الصّحفُ في صفحتِهَا الأُولى:

–بعدَ جُهودٍ مُضنيةٍ، أَلقى رجالُ الأمنِ القبضَ عَلَى كلّ الكاذبينَ وَالمغرورينَ وَالمنافقينَ وَالسّارقينَ، وَالمجرمينَ وَالخائنينَ وَالمرتشينَ وَالانتهازيّينَ وَالرَّجعيّينَ وَالمتقاعِسينَ وَالمتَبجِّحينَ ... وَسجنتْهُمْ، لقدْ صارَ هؤلاءِ جميعاً خلفَ القُضبانِ.

ضحكَ المديرُ فِي سرِّهِ، وَألقى الصّحيفةَ باحتقارٍ، وَقالَ في نفسِهِ: يا اللهُ ما أكذبَهُمْ، هَأَنذَا لا أزالُ حرّاً طليقاً.

*

(4)– الإِخْلاصُ

رفعَ المديرُ سمّاعةَ الهاتفِ واتَّصلَ بِأحدِ سائقي الشَّركةِ، قالَ: (أبا عبدو)! خُذِ السيّارةَ (المرسيدسَ) البيضاءَ وَاصحبْ زوجتي إِلَى دارِ أُختِها، فلديْهِمَا اليومَ أعمالٌ هامّةٌ.

(أبا زيادٍ) ! خُذِ (البيجو) السَّوداءَ إِلَى مدرسةِ الصّغيرةِ (نونو) وعُدْ بها إِلَى البيتِ فَوْرَ انصرافِهَا.

(أبا عمرٍو) ! خُذِ (الأوپل) الرّماديّةَ وابْقَ اليومَ معَ زوجةِ جاري لِتتسوّقَ حاجاتِهَا.

وَفي الاجتماعِ الَّذي عُقِدَ ظُهرَ ذلكَ اليومِ، احمرَّ وجهُ المديرِ، وَبرزَتْ عروقُ رقبتِهِ منْ فَرْطِ الحماسةِ، وَهُوَ يُؤَكّدُ أنَّ المواطنَ الصَّالحَ هوَ الَّذي يقدّمُ مَصلحةَ الجماعةِ عَلَى مصلحتِهِ الخاصّةِ، وَيتفانى في حِفظِ أموالِ العامّةِ.

وَضربَ بِجُمعِ يدِهِ الطاولةَ صارخاً: (عليْنا جميعاً أنْ نتحلّى بهذِهِ الخِصالِ الفاضلةِ).

*

(5)– الشَّمْسُ

سارَ الملكُ يوماً تحتَ أشعّةِ الشَّمسِ، فَآذاهُ شعاعُهَا، فقالَ لأتباعِهِ:

–قولُوا لهذِهِ الشَّمسِ التّافهةِ أنْ تحرفَ عنّي أذى أشعّتِهَا.

قالَتِ الشّمسُ: لا يمكنُني ذلكَ، فَأشعّتي لا تنطلقُ مُعْوجّةً، النّورُ لا يسيرُ إلاّ مُستقيماً.

جمعَ الملكُ جُيوشَهُ وَمدمّراتِهِ وَمَدافعَهُ وَكلَّ البارودِ في تَرْسانةِ أسلحتِهِ وَقالَ لأتباعِهِ:

–حَرِّقوا هذِهِ الشّمسَ اللَّعينةَ.

سدَّدُوا أسلحتَهُمْ.. وأطلقُوا النّارَ غزيراً.

لما انقشعَ الدّخانُ الكثيفُ، ابتسمَتِ الشّمسُ بِتسامحٍ، وَأرسلَتْ أشعّتَها بِسخاءٍ.

*

(6)– تَضْحِيةٌ

قرأْتُ في أَحَدِ الكتبِ العتيقةِ: ((إنَّ الحُبَّ الحقيقيَّ يُوجبُ التّضحيةَ))، لِهَذَا أَكْنَنْتُ في قَلبي أسمى وَأَنبلَ مشاعرِ الحبِّ لوطني ولأمّتي، فلمّا ظلمَني وطني، وَظلمَتْني أُمّتي، ضحّيْتُ بِأَغلى ما في قَلبي منَ المشاعرِ، وَألقيْتُ بها في البحرِ، أظنُّني أَمسيْتُ بِذلكَ واحداً منْ أُولئكَ الَّذين يقولُونَ صباحَ مساءَ:

-((إنّنا نضحّي منْ أجلِ وطنِنا وَأمّتِنا بِأغلى ما نَملكُ)).

*

(7) – مُطَالَعَةٌ

تَنَاوَلَ الصَّغيرُ دفترَ الرَّسمِ وَجعلَ يرسمُ أشياءَ يُحبُّها، رسمَ ربيعاً يرقصُ عَلَى رُبوعِ وطنِهِ، وَأنهاراً تتدفّقُ سلسبيلاً وَعِطراً، وَرسمَ شلاّلاتٍ بيضاءَ، وَطيوراً تغرّدُ، طَرِبَ الطّفلُ لهذا التَّغريدِ فراحَ يرقصُ وَيرسمُ، رسمَ درّاجةً مُلوّنةً تسابقُ الرّيحَ، ورسمَ أُمَّهُ .. وَصديقَهُ .. وَمدرستَهُ، رفعَ لوحتَهُ أمامَهُ يتأمّلُها وَيرقصُ، وَابتسمَ بِرضًا.

وَفي زاويةِ اللّوحةِ السُّفلى اليساريّةِ أخذَ يرسمُ هيكلاً مَعْدِنيّاً، فالتَفَتَتِ الرُّسومُ السّابقةُ مَذعورةً تَرمقُ الوليدَ الجديدَ الَّذي تَتَّضحُ ملامحُهُ رويداً رُويداً، لَمَّا أَتمّ الصّغيرُ رسمَ الدّبّابةِ، رفعَ لوحتَهُ منْ جديدٍ يتأمّلُهَا، فَاختفى كلُّ شيْءٍ جميلٍ رسمَهُ، وَحْدَها الدّبّابةُ بقيَتْ تزحفُ وَتنفثُ الدّخانَ الأسودَ وَالرّصاصَ، غضبَ الطِّفلُ، وَتوقّفَ عنِ الرّقصِ، محَا الدّبّابةَ، وَرسمَ مَوْضعَها كتاباً، كَبُرَ الكتابُ وَكبُرَ حتّى ملأَ اللّوحةَ جميعَهَا، تناولَ الصّغيرُ الكتابَ بِحبٍّ، وَأَقبلَ عليْهِ

يطالعُهُ، وَبعدَ حينٍ حَانَتْ منَ الطّفلِ التفاتةٌ فَوجدَ الأشياءَ الجميلةَ قدْ عادَتْ وَشكّلَتْ خلفيّةً رائعةً لِلكتابِ ملأتِ اللّوحةَ أمامَهُ.

*

(8)– لِمَاذا؟

إنَّهُ مُعلّمٌ، لمْ يَحفظْ أحدُ تلاميذِهِ درسَهُ فَضربَهُ، جاءَهُ وَليُّ التِّلميذِ يُنذرُ:

–لِماذا ضربْتَ ابني؟ الضَّربُ ممنوعٌ.

وَفي ذاتِ درسٍ وجدَ تلميذاً آخرَ نقلَ واجبَهَ البَيْتِيَّ عنْ زميلٍ لَهُ، فَضربَهُ، جاءَهُ أبو التِّلميذِ يهْدِرُ:

–لماذا ضرَبْتَ ابني؟ الضَّربُ ممنوعٌ.

وَفي ذاتِ مُذاكرةٍ، وقعَ عَلَى تلميذٍ فتحَ الكتابَ وَجعلَ يَسرِقُ منْهُ إجاباتِ الأسئلةِ، فضربَهُ، جاءَتْهُ أُمُّ التِّلميذِ تُعْوِلُ: لماذا ضربْتَ ابني؟ الضَّرْبُ ممنوعٌ.

جلسَ المعلِّمُ يُفكّرُ: إسرائيلُ تضرِبُ الفلسطينيّينَ الآنَ، وَأمريكا ضربَتْ أفغانستانَ أمسِ، وَتضرِبُ العراقَ اليومَ، فَلماذا لا يَنْبري لهما أحدٌ لِيقولَ: لماذا تضربانِ؟ الضَّربُ ممنوعٌ.

*

(9)– ابْتِسامَةٌ

أخذَ الصَّغيرُ ورقةً، وَاستلَّ قلمَهُ وَهمَّ بِالكتابةِ، فَتوسّلَتِ الورقةُ:

- صَفحتي بيضاءُ نظيفةٌ مصقولةٌ، فَلا تشوّهْ وَجْهي.
قالَ الصّغيرُ: أنتِ جميلةٌ كَالقمرِ أيّتُها الورقةُ، لكنِّي مُحتاجٌ إِلَى أنَ أتعلّمَ.
استفهمَتِ الورقةُ: مَا حاجتُكَ إِلَى العلمِ؟.
أجابَهَا: حتّى أصيرَ في مُستقبلِ أيّامي مُواطناً نافعاً واعياً.
سألَتِ الورقةُ: وَإذا لم تتعلّمْ ماذا تصيرُ؟
قالَ: أنشأُ جاهلاً لا يميّزُ بينَ ما ينفعُ وَما يضرُّ.
أغمضَتِ الورقةُ البيضاءُ المصقولةُ جفنيْهَا هادئةً وقالَتْ بِاسْتسلامٍ:
-إذنِ اكتبْ عَلَى صفحَتي مَا يحلُو لكَ.
كتبَ الصّغيرُ حتَّى امتلأَتِ الورقةُ، ثُمَّ محَا مَا كتبَ، وَما يزالُ يكتبُ وَيمحو حتّى اسودَّتِ الورقةُ وتَلِفَتْ، فَكوّرَهَا وَرماهَا، لكنّهَا وَهيَ تُحْتَضَرُ .. أشرقَ سوادُهَا عنِ ابتسامةٍ راضيةٍ.

*

(10)- مِهْرَجانٌ

قالَ الغُرابُ لِلطِّفلِ: أنا أُحِبُّكَ يا صَغيري، لأنَّكَ صادقٌ.
قالَ الطِّفلُ: عجيبٌ .. غرابٌ يَتكلّمُ كلاماً عَذباً؟.
قالَ الغرابُ: نعمْ يا صَغيري، أنَا أقولُ كلاماً عذباً لِلصّادقينَ فقطْ.
سألَ الطِّفلُ: وَالكاذبونَ، ماذا تقولُ لَهُمْ؟.
قالَ: أقولُ لهمْ ((غاق غاق)).

قالَ الطِّفلُ: سَيصحبُني أبي اليومَ إِلَى السّاحةِ الكُبرى في المدينةِ، حيثُ يُقامُ مِهرجانٌ خِطابيٌّ، أَلاَ تَحضرُ معَنَا؟.

أجابَ الغرابُ: بلى، سَأكونُ قريباً منْكَ هناكَ.

في المِهْرجانِ نادى المتكلّمُ بِأَعلى صوتِهِ منْ فوقِ شرفةٍ عاليةٍ: سَنضحّي بِكلِّ ما نملِكُ لِيَغنى الفقراءُ، سَنجوعُ لِيشبعَ المحرومونَ، سَنَعْرى وَنمتنعَ عنِ ارتداءِ رَبطاتِ العُنُقِ وَالقَمصانِ البِيضِ لِيكتسيَ النّاسُ جميعاً، سَنسيرُ عَلَى أَقدامِنا حتّى تَتَثقّبَ أحذيتُنا لِيركبَ المتعبونَ، سَنعملُ بِأيدينا حتّى تَنقِبَ وَتَتشقّقَ أكفُّنا لِتنعمَ الرّعيّةُ بِالرّفاهِ، سَنتقشّفُ في بيوتِنا حتّى يتوفّرَ لِكلِّ مُواطنٍ في منزلِهِ مسبحٌ، وَصالةٌ لِعرضِ الأفلامِ، وَمزرعةٌ تحيطُ بِالمنزلِ، وَسيّارةٌ تنتظرُهُ معَ سائقِهَا في المرْآبِ، وَلنْ نستريحَ لحظةً حتّى نصونَ الكرامةَ، وَننشرَ الحُبَّ لِيعمَّ الرَّخاءُ، وَلنْ يَغمضَ لنَا جفنٌ إِلَى أنْ تَسُودَ العدالةُ وَالمساواةُ وَالحرّيةُ، هذَا بعضُ ما سَنقومُ بِهِ، وَاللهُ منْ وراءِ القَصْدِ وَهوَ عَلَى ما نقولُ وكيلٌ.

صفّقَ الجُمهورُ عالياً، وَبينَ الهُتافِ وَضجيجِ التّصفيقِ، سمعَ الطِّفلُ فوقَ شجرةٍ قريبةٍ غُراباً يصِيحُ:

– غاق غاق.

*

(11)– وُحُوشُ الغابةِ

حينَ أفاقَتِ الشَّمسُ صباحاً، تأفّفَتْ منْ تكاثُفِ الدّخانِ أمامَهَا، فَلوَّحَتْ بيدِهَا لِتُبعدَهُ، وَسعلَتْ بِصوتٍ مَبحوحٍ قائلةً:

-ما هَذَا؟ أكادُ لا أُبصرُ كوكبَ الأرضِ أمامي؟ ماذا يجري هناكَ؟ .

وَأشرفَتْ عَلَى الأرضِ، فرأَتْ طيوراً معدِنيّةً كبيرةً تجوبُ سماءَهَا، وَأبنيةً تتهدّمُ، وَشعوباً فقيرةً تحملُ أمتعتَهَا عَلَى ظُهورِها تَولّي هاربةً، وَرأَتْ أطفالاً لا يبتسمونَ، صَمَّ أُذُنيها عويلٌ نازفٌ، يتصاعدُ في عديدٍ مِنْ بقاعِ الأرضِ، فامتعضَتِ الشّمسُ وتمتمَتْ:

-يَبدو أنَّ حريقاً مهولاً شبَّ في إِحدى الغاباتِ، فهربَتْ (وحوشُ الغَابَةِ) وَهاجمَتِ القُرى وَالمدنَ.

*

(12)- رَئيسُ (عَجْفاءُ)

في تلكَ الحانةِ ذاتِ الإنارةِ الشَّحيحةِ، وفي ساعةٍ مُتأخّرةٍ تلك الليلةَ، ضربَ سكرانُ الطَّاولةَ وَنادى:

- ((ياشبابُ.. يا شبابُ !)).

سادَ صمتٌ كأنَّ الحانةَ خلَتْ منْ روّادِهَا، فَتابعَ:

-((مَا رأيُكُمْ أنْ نلعبَ لعبةَ (التَّمنِّي)، لِيتمنَّ كلٌ منّا ما يحبُّ، سأبدأُ بنفسي، أنا أُحِبُّ أنْ أشربَ كلَّ ما عَلَى رُفُوفِ هذِهِ الخمّارةِ منْ خمورٍ)).

ضحكَ المخمُورونَ.

قالَ آخرُ: ((أنا أتمنّى أنْ أكونَ مليونيراً)).

فتعالَتْ منَ الجميعِ كلمةُ (آه) إعجاباً.

- ((أنا أريدُ الزَّواجَ منْ (حميدةَ))).

زغرَدَ أحدُهُمْ، وَصفّقَ الباقونَ.

-((كمْ سيكونُ جميلاً أنْ أَخْترِعَ آلةً تجعلُ التُّرابَ كَباباً، وَالحِجارةَ كُبّةً مَشْوِيّةً)).

تَلَمَّظَ الكثيرونَ.

-((سأسعى لأصيرَ ذِئباً يَرعى الخِرافَ)).

قَالَ أحدُهمْ: ((اللهمَّ نجّنا))، فَرَدّدَ الآخرونَ: ((آمينَ)).

-((أنا أحلمُ أنْ أكونَ بطلاً، لأقتُلَ الرئيسَ الأمريكيَّ، الَّذي أضرمَ نارَ الحربِ في الأرضِ)).

فَشكّلَ بعضُهُمْ يديْهِ مسدّساتٍ وَبنادقَ تطلقُ النّارَ: طخْ .. طخْ ..

-((أَشْتهي أنَ أكونَ واحداً منْ رؤساءِ أوْ ملوكِ أوْ أمراءِ هذهِ الدّولِ العربيّةِ العديدةِ)).

عندَهَا وَجَمَ الجميعُ وَعادُوا إِلَى كؤوسِهِمْ يشربونَ، وَيَقْرعونَ بها الطَّاولاتِ بِغيظٍ، وَلَمْ يُعلنْ بعدَهَا أحدٌ عنْ أمنيَّتِهِ.

*

(13)- الخَطَرُ

مَدَّ المتنبّئُ عصاهُ إِلَى الخارطةِ وَأشارَ فيهَا إِلَى نقطةٍ محدّدةٍ وَقالَ:

-منْ هُنا سَتهبُّ علينا عاصفةٌ ثلجيّةٌ تتجمّدُ لها أوصالُنَا.

صَباحَ اليومِ التّالي، قصدَ النَّاسُ جميعاً أعمالَهُمْ، مُتدثّرينَ بِالمعاطفِ.

مساءً قالَ المتنبّئُ وَقدْ أشارَ إِلَى نقطةٍ معيَّنةٍ في الخارطةِ:

-مِنْ هذا المكانِ ستهاجمُنَا طيورٌ تُحطّمُ زجاجَ النّوافذِ، وَتُكسّرُ قِرميدَ السّطوحِ، وَتَفْقأُ عيونَ الأطفالِ في الطُّرُقاتِ.

لزِمَ الأطفالُ يومَهَا بيوتَهُمْ، في حينَ انطلقَ الكبارُ إِلَى أعمالِهِمْ، وَفي المساءِ عادَ بعضُهُمْ يحملُ ألواحَ زُجاجٍ وَقرميداً لإصلاحِ ما فَسَدَ.

مَساءً قالَ المتنبّئُ:

-هُنا في هذهِ البُؤرةِ يكمنُ وَباءٌ وَبيلٌ سيجتاحُنَا وَيقتلُ العديدَ مِنَ الشُّيوخِ وَالشَّبابِ وَالأطفالِ، وَربّما جميعِ النّساءِ.

حينَ أفاقَ النَّاسُ في اليومِ التَّالي، خرجُوا كالعادةِ إِلَى أعمالِهِمْ، وَكثيرونَ منْهُمْ يُخْفونَ في جيوبِهِمْ كَمّاماتٍ أعدّوها لخطرِ الوباءِ القادمِ.

وَفي تلكَ العشيّةِ قالَ المتنبّئُ:

-في ساعةٍ مجهولةٍ يومَ غدٍ، أَحَدُ حرَّاسِ الزّعيمِ الشّخصيّينَ المقرّبينَ منْهُ جدّاً، داخلَ القصرِ سيغتَالُ عظَمةَ الزّعيمِ.

صباحَ ذلِكَ اليومِ، في أنحاءِ البلادِ كلّهَا، حتّى فِي الوِديانِ السَّحيقةِ وَالجِبالِ السَّامقَةِ، لم يصلْ أحدٌ إِلَى مقرِّ عملِهِ، فَالطُّرُقاتُ ملأَى بِالدّبّاباتِ وَالشُّرَطِ وَرجالِ الأمنِ السّرّيّينَ، وغيْرِ السّرّيّينَ، مُزوّدينَ بِأحدثِ الأسلحةِ.

*

(14)- ثَبِّتُوها في المحْضَرِ

يومَ الخميسِ الماضي، عقدَ (مجلسُ الأمّةِ الاستشاريُّ) جلسةً استثنائيّةً تقدَّمَ في نهايتِهَا كثيرٌ مِنْ أعضائِهِ بِمُقترحاتٍ رفعُوهَا لِرئيسِ المجلسِ، قالَ أحدُهُمْ:

-سيّدي الرّئيسَ ! نرفعُ إليكُمْ رجاءً، أنْ نمتنعَ بعدَ اليومِ عنْ بيعِ الخبزِ للمواطنينَ.

قالَ رئيسُ المجلسِ: ثبّتُوا رغبتَكُمْ هذهِ في مَحْضَرِ الجلسةِ.

اقترحَ آخرُ: تحسيناً لسويّةِ الاقتصادِ في بلادِنَا، أقترحُ تَعْليبَ الهواءِ والماءِ، وَبيعَ معلّباتِهِما في المؤسّساتِ الاستهلاكيّةِ الحكوميَّةِ حصراً.

هزَّ رئيسُ المجلسِ رأسَهُ: ثبّتوها في محضرِ الجلسةِ.

قالَ آخرُ: المؤسّساتُ التّعليميّةُ كلُّهَا في بلادِنَا صارَتْ تُشكّلُ عِبئاً اقتصاديّاً يُثْقِلُ كاهلَ ميزانيّتِنَا، أغلقُوهَا يا سيّدي مَشْكورينَ.

أَشارَ رئيسُ المجلسِ: ثبّتُوها .. ثبّتُوهَا في محضرِ الجلسةِ لِلدّراسةِ.

-الشّمسُ وَالقمرُ وَالغيومُ، وَالأشجارُ وَالأزهارُ وَالدّواءُ وَضحكاتُ الأطفالِ، وَحليبُ الرُّضعاءِ، وَسِككُ القِطَاراتِ، وَالشِّتاءُ وَالرّبيعُ وَالصّيفُ وَالخريفُ، هذِهِ كلُّها مِنْ مُخلّفاتِ العُهُودِ البائدةِ، نرجُو يا سيّدي أنْ تُبِيدُوها.

رئيسُ المجلسِ: اكتبُوهَا في محضرِ الجلسةِ.

-الاحتفالاتُ القادمةُ وَالتَّحضيرُ لَهَا، نَفقاتٌ باهظةٌ غيرُ مُجْدِيةٍ، ماذا لوْ ألغيْناهَا؟.

-رئيسُ المجلسِ: هذِهِ .. لا، لا نَحْرِمُ هذِهِ الجماهيرَ الطيّبةَ سعادةَ الاحتفالِ بمناسبةِ عودةِ الحبيبِ (جوجو) إِلَى أرضِ الوطنِ، بعدَ إجراءِ عمليّةِ تجميلٍ خطيرةٍ في أكبرِ مستشفياتِ أُوروبّةَ، هذَا الاحتفالُ حقُّهَا القانونيُّ الَّذي

يصونُهُ الدُّستورُ، يا زميلُ ! اقتراحُكُمْ لا يكونُ أبداً ... أرى المقتَرَحاتِ الهامّةَ انتهَتْ ... رُفِعَتِ الجلسةُ.

صَفَّقَ أعضاءُ (مجلسِ الأمّةِ الاستشاريِّ) جميعاً حتّى غادرَ رئيسُ المجلسِ القاعةَ، حينَها مالَ أَحَدُ الأعضاءِ إِلَى جارِهِ وَسألَ هامساً:

-مَنِ الحبيبُ (جوجو) يا زميلُ؟.

-وَاللهِ لا أعرفُ، لعلّهُ (كلبُ) السّيّدِ رئيسِ المجلسِ.

*

(15)-سِياحَةٌ

تلميذٌ سألَ: يَا أستاذُ! ما البلادُ الجميلةُ الَّتي يجدرُ بالسّائحِ أنْ يزورَهَا؟.

-قالَ المعلّمُ: (الصِّينُ) شعبٌ مُنتجٌ، مصنوعاتُهُ غزَتِ العالمَ، وَفيهَا السّورُ العظيمُ.

تخيّلَ التّلميذُ صفّاً لا نهايةَ لَهُ مِنَ العاملينَ مُنكبّينَ عَلَى آلاتٍ بينَ أَيديهِمْ صامِتِينَ، وَتخيّلَ أعمدةً إسمنتيّةً شَاهقةً تصلُ بينَهَا أسلاكٌ شائكةٌ، فتململَ بحماسةٍ وَاستبشارٍ، قالَ في نفسِهِ:

-عندَما أكبَرُ سأزورُ (الصّينَ).

تابعَ المعلّمُ: (مصرُ)، أُمُّ الدّنيا، بلادُ الأهراماتِ وَالحضارةِ، فيها السّدُّ العالي العظيمُ.

فَتذكّرَ التّلميذُ صُوَراً لِلأهراماتِ رآها في أحدِ الأفلامِ العربيّةِ، وَتخيّلَ بحيرةً مُتّسعةً تَعِجُّ بِالأسماكِ، فَقرّرَ أنْ يزورَ (مصرَ) حينَ يكبَرُ.

المعلّمُ: (روسيا)، هَؤلاءِ سارُوا فوقَ القمرِ، وَعَدَساتُ آلاتِ التَّصويرِ عندَهُمْ مميّزةٌ.

سرحَ الصّغيرُ بِخيالِهِ إِلَى ليالي الصّيفِ المقمرةِ، ثُمَّ تأمَّلَ صورةً ملوّنةً عَلَى غلافِ دفترِهِ.

وَابتسمَ بِنشوةٍ: وَسأزورُ (روسيا) أيضاً عندَمَا أكبَرُ.

قالَ المعلّمُ: لكنّكَ إذا لم تزرْ (أمريكا) فَكأنَّكَ لم ترَ مِنَ العالمِ شيئاً..

في التَّوِّ قفزَتْ إِلَى ذهنِ الصّغيرِ صورُ الطّائراتِ الإسرائيليَّةِ الَّتي ألقَتْ قنابلَ التَّدميرِ فوقَ لبنانَ عامَ ألْفينِ وَستَّةٍ، كانَتْ أمريكيّةَ الصّنعِ، فانقبضَتْ نفسُهُ.

التِّلميذُ سألَ: هلْ أمريكا هيَ الأجملُ فيما ذكرْتَ آنفاً؟.

هَزّ المعلّمُ رأسَهُ مُوافقاً: هذَا لا شكَّ فيهِ.

قالَ: يَكفي يا أستاذُ، يَكفي، لنْ أغادرَ إِلَى أيِّ مكانٍ .. وطني هُوَ الأجملُ.

*

(16)–الجَرِيمةُ وَالمجْرِمُ

1–اندفعَ منْ بابِ المتجرِ مُزبداً: هَؤلاءِ التّجّارُ يَسرِقُونَ أعيادَنَا، يغتالُونَ فرحتَنَا بِالعيدِ، يَستثمرونَ حاجتَنَا لابتياعِ شيءٍ في العيدِ، فَيستنْزفونَ كلَّ مرتَّباتِنا.

وَفي المساءِ أوَى إِلَى فراشِهِ حزيناً.

2–حينَ غادرَ مكتبَ المديرِ كانَ المَوظّفونَ متجمهرينَ أمامَ البابِ لمراجعةِ المديرِ، قالَ:

–عندَكَ حَسْمُ أجرِ ثلاثةِ أيّامٍ، عندَكَ حسمُ خمسةٍ بِالمِائةِ مَدّةَ شهرينِ، عندَكَ عقوبةٌ .. أَلا يُقدّمُ هذا الوطنُ إلاَّ العقوبةَ؟. كيفَ أردُّ عنْ لُقمةِ عِيالي سيلَ العقوبةِ؟.

وَفي المساءِ أَوَى إِلَى فراشِهِ وَالألم يَعتصرُهُ.

3–نجحَ بِامتيازٍ في مسابقةِ انتقاءِ أَكْفأِ العاملينِ للإيفادِ في بعثةٍ إِلَى إِحدى الدُّولِ الغربيّةِ المتطوّرةِ، وَ .. أُعِيدَتْ إِليْهِ الأوراقُ الَّتي تقدّمَ بها إِلَى المسابقةِ مَشْفوعةً بِقُصاصةٍ فيهَا: (نتمنَّى لكَ النّجاحَ في مَجالاتٍ أُخْرى).

كانُوا قَدْ أَوْفَدوا بَدلاً عَنْهُ أَحَدَ المقرّبينَ مِنَ المديرِ.

وَفي المساءِ أَوَى إِلَى فراشِهِ دونَ تفكيرٍ.

4–أمسكَ مُكبِّرَ صوتٍ وَجعلَ يُنادي: أيُّهَا النَّاسُ رئيسُنَا (أصلعُ)، شَعْرُ رأسِهِ مُسْتعارٌ؛ أيُّها النَّاسُ رئيسُنَا أَصْ..

اندفعَ إِليْهِ أحدُهُمْ وَأخذَ بِتلابيبِهِ، جاءَهُ ثَانٍ يصفعُهُ، ثالثٌ يَرْكُلُهُ، رابعٌ .. خامسٌ، انشقَّتِ الأرضُ عنْ عَشَرَةٍ .. عنْ عشرينَ .. مِئاتٍ.

كانَ جُرْمُهُ هذِهِ المرّةَ أكبرَ منْ أنْ يُسكتَ عليْهِ .. وِفي المساءِ دفعُوا بِهِ إِلَى زنزانةِ المجرمينَ الشِّرّيرينَ.

*

(17)– بينَ النَّظريّةِ وَالتَّطبيقِ

الأوّلُ: مَا مَعنى قولِهِمْ (هذِهِ الدّولةُ تُؤمنُ بِالحرّيةِ)؟.

الثّاني: مَعناهُ (أنّها تَسمحُ لمواطِنيهَا أنْ يفعلُوا مَا يشاؤُونَ ...

الأوّلُ: كلَّ ما يَشاؤونَ؟!.

الثّاني: لا طبعاً، فَهيَ تَحْظُرُ عليهِمْ أُموراً خاصّةً ...

الأوّلُ: تحظرُ أموراً خاصّةً؟ مثلُ ماذا؟.

الثّاني: مثلاً تُحرّمُ عليهِمْ أَنْ يعتدُوا عَلَى حياتِهِمُ الشّخصيّةِ ...

الأوّلُ: كيفَ؟.

الثّاني: تحرّمُ عليهِمْ أَنْ ينتحرُوا مثلاً.

الأوّلُ: هلْ دولتُنا مِنَ الدّولِ الَّتي تُؤمِنُ بَالحرّيّةِ؟.

الثّاني: ....

انصرفَ الأوّلُ وَأتى بَأعوادٍ وَطاولةٍ وَكرسيٍّ، وَنَصَبَ مِشنقةً في ساحةِ المدينةِ، وضعَ الطَّاولةَ وَفوقَها الكرسيُّ، وَصَعِدَ فوقَ الكرسيِّ، وَلمّا أحكمَ لفَّ الحبلِ حولَ عنقِهِ، وَلم يبقَ إلاَّ أنْ يدفعَ بِالكرسيِّ منْ تحتِهِ، فكّرَ:

-الآنَ أموتُ سعيداً، فقدْ كشفْتُ في التَّوّ أنّي عشْتُ حياتي في دولةٍ رائدةٍ تصونُ لمواطنيهَا حرّيتَهُمْ كاملةً.

*

(18)– مُمارَسَةُ الحُريّةِ

قرأَ في كتابٍ عنِ الحرّيةِ وَمظاهرِهَا وَسُبُلِ تطبيقِهَا في العالمِ، وَأخذَ يُقارنُ بينَها وَبينَ الحرّيةِ الَّتي عاشَهَا، وَمَا كادَ ينتهي منَ القراءةِ حتَّى وصلَ بِهِ التَّوتّرُ أقصاهُ، فَجعلَ يأكلُ الكتابَ غَيْظاً، وَأعلنَ:

-لقدْ عِشْتُ حياتي إِلَى النّهايةِ...وَ(ها أنَا أَشْبعُ حرّيةً).

*

(19)– بَلاغَةٌ

خيرُ مَنْ يُحسنونَ التّعبيرَ عنِ الهزائمِ وَالنّكساتِ وَالخيباتِ ..، وَتصويرِهَا عَلَى أنَّها انتصاراتٌ فذّةٌ، وَبُطولاتٌ خارقَةٌ، وَاستراتيجيّاتٌ مُنقطعةُ النّظيرِ، وَ(دُبْلُماسيّاتٌ) مُحنّكةٌ .. هُمُ (المهزومونَ) أنفُسُهمْ.

*

(20)– تَرْبيةُ الأَطفالِ

الطِّفْلُ: لماذا أَعدمَ العِراقيّونَ رئيسَهُمْ (صَدَّامَ حُسَيْن)؟.

الأُمُّ: لأَنَّهُ لا يسمعُ الكلامَ.

الطِّفْلُ: لم يسمعْ كلامَ مَنْ؟.

الأمُّ: لم يسمعْ كلامَ الشُّرْطيِّ.

فكّرَ الطّفلُ هُنَيهةً ثُمَّ قالَ: لو أجريْنَا عمليَّةً حسابيّةً بسيطةً، فهلْ نحنُ خاسرونَ أَمْ رابحونَ؟.

الأمُّ: ماذَا تَعْني؟.

الطِّفلُ: أَعني أنَّا نفّذْنا كلامَ شُرطيٍّ، وَخسرْنا عُنقَ رَجُلٍ، فهلْ هذَا ربحٌ أمْ خسارةٌ؟.

الأمُّ: رِبْحٌ يا بُنيَّ ربحٌ، اِفهمْ يا بُنيّ أنَّ كلمةَ الشّرطيِّ أهمُّ منْ رؤوسِنَا، وَمِنْ عقولِنَا وَكرامتِنَا، كلمةُ الشُّرطيِّ أَغلى ثَرْوةً عندَنا، إنَّها كلُّ شيْءٍ.

يا بُنيَّ! إذا أردْتَ السَّلامةَ فَأَطِعِ الشُّرطيَّ قبلَ كُلِّ شيءٍ.

*

(21)– مُظَاهَرَةُ تَقْييدٍ

بعدَ أنْ غربَتِ الشّمسُ، ألقَى المسْؤولُ كلمةً عَبْرَ (التّلفازِ)، أعلنَ فيها خِطّةً مُحكمةً ذكيّةً، بَشَّرَ فيها بـ ((النَّماءِ الاقتِصاديِّ))، وَالرّفاهِ لِلمُواطنينَ جميعاً، وَرفعَ صوتَهُ عالياً حتّى بُحَّ، وَانتفخَتْ أَوْداجُهُ، وَأَزْبَدَ فمُهُ، وَلم يَنْسَ منْ فرْطِ حماستِهِ أنْ يضربَ الطّاولةَ أكثرَ منْ مَرّةٍ، وَقاطعَهُ التَّصفيقُ الحارُّ مِراراً، وَفي اليومِ التّالي، تنادَتِ الجماهيرُ الغَفِيرةُ إِلَى مُظاهَرَةٍ عارمةٍ احْتِفاءً بَالخُطْبَةِ العَصْماءِ، وَحملَ المتظاهِرونَ لافِتاتِ قُماشٍ تَكْفي لِكِسْوَةِ عُراةِ الفقراءِ، وَرقصَتْ في السّاحةِ فَتَياتٌ جميلاتٌ حتّى تَصبّبْنَ عَرَقاً، وَصفّقَ لهنَّ الشّبابُ الحاضرونَ حتَّى كادَتْ تلتهبُ أكفُّهُمْ، فقدْ كانَتِ المناسبةُ جديرةً بِالتَّضحيةِ، وَبذلِ الجُهدِ.

وَقبلَ أنْ تُشرِقَ شمسُ اليومِ التّالي، عَادَ كلٌّ إِلَى بيتِهِ، عادَ إِلَى المريضِ مرضُهُ، وَإلى الفقيرِ فقرُهُ، وَإلى المقهورِ ذُلُّهُ، وَإلى خائبِ الرّجاءِ يأسُهُ، وَعادَ الشُّرْطيُّ يبحثُ عنْ ضحيّتِهِ الجديدةِ، وَغرقَ الجميعُ في ظلمةِ ليلٍ سرمديٍّ .. لا أَدْري لماذا ذهبَتْ كلُّ الجهودِ الخلاّقةِ الجبّارةِ الَّتي بُذِلَتْ في مُظاهرةِ التّأييدِ أَدْراجَ الرّياحِ؟!.

*

(22)– ثَناءٌ

يَافِعٌ مِنَ الفتيانِ جلسَ في الحديقةِ العامّةِ يستريحُ، جاءَتْ دوريّةُ شُرْطَةٍ حملَتْهُ إِلَى المخفرِ، وَبعدَ مُنتصفِ اللّيلِ اتَّصلَ شُرْطيٌّ بِوليِّ الفَتَى:

-أنتَ (أ)؟.

- ...

-تعالَ إِلَى مَخفرِ الشُّرطةِ لِتتسلّمَ ابنَكَ.

في المخفرِ:

الشُّرطيُّ الضّابطُ: ضَبَطْنا هذا الغُلامَ ... أَهُوَ ابنُكَ؟.

-نعمْ، إنَّهُ ابني.

-أنتَ لا تَصْلُحُ أنْ تكونَ أباً، ضبطْناهُ مُتشَرّداً، لَمْ تُحْسِنْ تَربيتَهُ، مَا عملُكُ؟.

-مُعلّمٌ.

-أنتَ لا تَصْلُحُ أنَ تكونَ مُعلّماً، لماذا لم تُعلّمِ ابنَكَ أنَّ التّشرّدَ ممنوعٌ؟ ... أَيُّها الشّرطيُّ! خذِ الأبَ وَالابنَ إِلَى السِّجنِ.

دخلَ عَلَى المعلّمِ في سجنِهِ شُرطيٌّ يُحقّقُ معَهُ، فَكّرَ المعلّمُ:

- (في بِلادِنا يَسْجُنونَ، ثُمَّ يُحقّقونَ) .

بعدَ الانتهاءِ، قالَ الشُّرطيُّ: كَمَا تَرى ساعدْتُكَ وَساعدْتُ ابنَكَ، فَهاتِ المقابلَ...

في اليومِ التّالي قُدّمَ الأبُ وَالابنُ إِلَى النِّيابةِ، ثُمَّ.. أخلَتْ سبيلَهُمَا.

بعدَ أيّامٍ نشرَتِ الصَّحيفةُ المحليّةُ مقالاً بخطٍّ عريضٍ:

-رئيسُ مخفرِ الشُّرطةِ يُثْني عَلَى نَزَاهةِ عناصرِهِ المتَفانينَ في خِدمةِ المصْلحةِ العامّةِ، فقدْ عُرِضَتْ عليْهِمْ رَشْوَةٌ كبيرةٌ ... فَعفّتْ أيديهِمْ عنْهَا.

*

(23)-قَناعَةٌ

سمعَ الفتى أنَّ وجيهاً منْ وُجَهاءِ المدينةِ أُودِعَ السّجنَ، لأنّهُ رَشَا أحدَ كبارِ المسؤولينَ، مُقابلَ أنْ تُطلقَ يدُهُ في تنفيذِ أحدِ المشاريعِ الهامّةِ في البُنْيَةِ الاقتصاديّةِ في البلدِ، وَبعدَ حينٍ شهدَ أحدَ مشاهيرِ الأغنياءِ في مدينتِهِ تُضْبَطُ في حَوْزتِهِ كَمّيّةٌ كبيرةٌ مِنَ الممنوعاتِ الَّتي يَنْتَحرُ بها نسبةٌ كبيرةٌ منَ الشّبابِ، ثُمَّ ثَبَتَ للفتى بعدَ مُدّةٍ أنَّ واحداً مِنْ أصحابِ القصورِ الباذخةِ، وَالسّيّاراتِ الفارهةِ، كانَ في (وظيفتِهِ) قدْ فرضَ عَلَى المراجعينَ ضريبةً مُقابلَ خدماتِهِ لَهُمْ، ...فقالَ الغلامُ في سِرِّهِ: عَرَفْتُ مِنْ هؤلاءِ الطَّريقَ المضمونَ إِلَى الغِنى .. لكنْ يجبُ أنْ أكونَ أكثرَ ذكاءً.

*

(24)-مُواطِنٌ نَظيفٌ

حينَ أنارَ الضَّوءُ الأحمرُ في الشَّارِعِ العريضِ، توقَّفَتْ أربعةُ أَرْتالٍ مِنَ السّيّاراتِ المنطلقَةِ، وَاندفعَ المشاةُ المتَربّصونَ في الرّصيفِ يَعْبرونَ الشّارعَ مُسرعينَ، حقيقةً كانَ الشّارعُ نظيفاً أنيقاً، لكنَّ وَرَقةً عَلَى الأرضِ رَماها طفلٌ مِنْ إحدى السّيّاراتِ، بَدَتْ في مَعبرِ المشاةِ غريبةً، فَانحنى أحدُ العابرينَ وَحملَهَا وَاستأنفَ سيرَهُ.

علّقَ أحدُ السّائقينَ:

-أَشتَهي أنْ أدهسَ هذا الرَّجلَ، أَهَذا وقتُ حملِ الأوراقِ؟.

-وَعلّقَ آخرُ: هذا المواطنُ مجنونٌ، أَمَا يَخْشى أنْ تَفتحَ الإشارةُ الضَّوئيّةُ وَتدهسَهُ السّيّاراتُ؟.

وَعلّقَ ثالثٌ: لوْ كانَ ثُلُثُ مُواطِنينا مِثلَ هذَا، لَكُنَّا الأُمَّةَ الأُولى في العالمِ تَقَدُّماً، وَلما قَوِيَ الصّهاينةُ عَلَى اغتصابِ فلسطينَ.

حملَ المواطنُ ورقةَ القمامةِ منَ الشّارعِ النَّظيفِ ورماهَا في حاويةٍ مرَّ بها مُصادفةً، فَهُرِعَ إليْهِ شُرْطيٌّ:

– أَعطِني هُوُيّتَكَ، رميْتَ القَمامةَ في غيرِ الوقتِ المسموحِ بِهِ، سَأُنظّمُ بِحقّكَ ضَبطَ مُخالفةٍ.

*

(25)–أَيْنَ الوَطنيّةُ؟

تقدَّمَتِ الدّبّابةُ بجنازيرِها الحديديّةِ، وَسدّدَ الجنديُّ مِنْ فوقِهَا رشّاشَهُ وَأطلقَ النّارَ، فقتلَ الشَّارعَ وَالبِناءَ وَالشّجرةَ وَالإنسانَ وَالنّافذةَ وَالسّتائرَ، وَالصُّوَرَ المعلّقةَ عَلَى الجدارِ، وَالهواءَ المشْبَعَ بِأريجِ الياسمينِ، وَعصافيرَ (الدُّوريِّ)، وَالقِطّةَ الَّتي كانَتْ تموءُ في مَدخلِ البَناءِ ... دارَتِ الدّبّابةُ تجوبُ الشّوارعَ، وَتَنْثُرُ الموتَ وَالدَّمارَ في كلِّ شيءٍ .. وَالتفَتَ الجنديُّ إِلَى زميلِهِ داخلَ الدّبّابةِ، وَقالَ لَهُ مستنكراً:

–غريبونَ أهلُ هذهِ المدينةِ، لماذَا لا أرى واحداً مِنْهُم يُدافعُ عَنْ مدينتِهِ؟!.

*

(26)–دُعَاءٌ

–اللَّهمَّ يارحيماً بِعبادِكَ، يا كريماً في عطائِكَ، ارزقْنَا بِترَوْلاً لا يَنْفَدُ، وَآبارَ غازٍ لا مقطوعةً وَلا ممنوعةً، وَمناجمَ ألماسٍ لا غَوْرَ لها، وَجبالَ ذهبٍ وَفضّةٍ مِنْ خزائنِكَ العامرةِ، وَلحمَ ضأْنٍ هنيئاً مريئاً، وَسيّاراتٍ أمريكيّةً فارهةً، (نُشَحّطُ) وَ(نُفَحّطُ) بِها حتّى نحرقَ عجلاتِهَا في دقائقَ يا ربَّ العالمينَ، وَارزُقْ نساءَنا –الجميلاتِ مِنْهُنَّ– ما يَشأْنَ منْ ألبسةٍ وحُلَيٍّ وَعُلَبِ زينةٍ، وَرُدْهاتٍ واسعةٍ فاخرةِ الفرشِ، يجلسْنَ وَيَتَنازَعْنَ فيها أطرافَ الأحاديثِ، وَيُشاهدْنَ عَلَى شاشةِ تلفزيونٍ ملوّنٍ كبيرٍ آخرَ مبتكراتِ الأزياءِ، وَارْفَعْ عنّا يا ربِّ إقامَ الصَّلاةِ وَإيتاءَ الزّكاةِ وَصومَ رمضانَ، وَحجَّ البيتِ لِمَنِ استطاعَ إليهِ سبيلاً، وَمَنْ لم يجدْ إليهِ سبيلاً، وَمدَّ لنا يدَ العوْنِ حتّى نقهرَ جيرانَنَا الأَقصَينَ وَالأدنَيْنَ، وَأرحامَنا أجمعينَ.

وَآخرُ دعْوَانا أنِ انْصُرْنا عَلَى أمريكا وربيبَتِهَا إسرائلَ، وَحليفتِهِمَا إِنْكلترا، اللّهمَّ علينا السّؤالُ الملِحُّ، وَمِنْكَ الإجابةُ السّريعةُ، وَعليكَ التُّكلانُ .. آمينَ.

*

(27)– المنْقِذُ

الأوّلُ: الموتُ في كلِّ مكانٍ، الاغتيالاتُ وَالتّدميرُ، وَالقبورُ الجماعيّةُ، المطارِقُ الحديديّةُ تحطّمُ الرُّكَبَ وَالمَرافِقَ، وَفي الماءِ المغليِّ يُلْقَى البَشَرُ أحياءً، مَا عادَتِ الأرضُ تَصْلُحُ لِلعيشِ فيها.

مَنِ المسؤولُ عنْ زرعْ الرُّعبِ وَالفناءِ في أَوْصالِ المعمورةِ؟.

الثّاني: ((أمريكا))، وَلكنْ لا عليكَ .. فقدْ أظلَّنا زمانُهُ، آنَ لَهُ أنْ يَظْهَرَ.

الأوّلُ: مَنْ هذا الَّذي آنَ لَهُ أنْ يَظهرَ؟.

الثّاني: المنقذُ الَّذي سَيقودُ السّفينةَ إِلَى مرافئِ الأمَانِ.

الأَوَّلُ: مَا الَّذي يمنعُهُ مِنَ الظّهورِ؟.

الثّاني: يَتوجّبُ عليْنا أوّلاً أنْ نكتبَ إليهِ رسالةً نستقدمُهُ فيهَا.

الأوّلُ: وَمَا الَّذي يمنعُنَا مِنْ كتابتِهَا فوراً؟.

الثّاني: ضَجيجُ الحربِ في بلادِنَا يَحُولُ دونَ التّفكيرِ النّاجعِ فيمَا يجبُ أنْ نكتبَهُ.

الأوّلُ: صدقْتَ، فرائحةُ البارودِ وَالدّمُ وَالخيانةُ وَالكذبُ ... تجعلُ أحكامَنَا سقيمةً، فَلْنبحَثْ عنْ مكانٍ آمنٍ هادئٍ يَصْلُحُ لكتابتِهَا.

الثّاني: فَكّرْتُ في هذَا مليّاً فلمْ أجدْ خيراً مِنْ (أمريكا)، فَهُناكَ تتوفّرُ السّكينةُ، مَا قولُكَ أنتَ؟.

الثّاني: أَجَلْ .. هيَ مَلاذُنا، فَلْنذهبْ إِلَى أمريكا.

*

(28)–انْتِحارٌ

في أحدِ شوارعِ بغدادَ، يلتقي عِراقيّانِ، بَدَا عليهِمَا الهزالُ وَالوُجومُ، تبادلا نظراتٍ حزينةً، وَأطرَقَا ساعةً، ثُمَّ قالَ الأوّلُ:

- القنابلُ لوّثَتْ كلَّ شيءٍ، لم أَعُدْ أَجِدُ شيئاً نظيفاً أقتاتُ بِهِ، هذا زمنُ التَّلوّثِ, أينَ نمضي؟.

الثَّاني: سئمْتُ حياتي، قرَّ عزمي عَلَى أنْ أقتلَ نفسي.

الأوَّلُ: وَأنا لم أجدْ حلاًّ لِمَا أنا فيه إلاَّ الانتَحارَ.

الثَّاني: أنَا سَأَتَرَدّى مِنْ فوقِ جبلٍ شاهقٍ، وَأنتَ ماذا ستفعلُ؟.

الأوّلُ: هذا انتحارٌ رخيصٌ، أنا سَأُعطي مَوْتي معنًى، سَأُلقي بِنفسي تحتَ جنازيرِ دبّابةٍ أمريكيّةٍ.

الثَّاني: مَا قولُكَ أنْ أهتفَ باسمِ ((الدِّيمقراطيَّةِ))؟.

الأوّلُ: وَمَنْ سيقتُلُكَ في هذهِ الحالِ؟.

الثّاني: كلُّ الأطرافِ المتصارعةِ هنا سَتُوجّهُ أسلحتَهَا إليّ، وَإنِ اختلفَتِ الأسبابُ وَالقناعاتُ.

الأوَّلُ: ماذا لوْ قَتَلَ كلٌّ منَّا الآخرَ؟.

الثّاني: هذا هوَ الحلُّ الأَمْثَلُ، وَلكِنْ... إذا قتلْتُكَ أنتَ، فَمَنْ سيقتلُني أَنَا بعدَكَ؟.

الأوَّلُ: لَنْ تَعْدَمَ وسيلةً مُشرّفَةً لِكِلَيْنا.

أطرقَ الأَوّلُ رأسَهُ حتّى وضعَهُ عَلَى الأرضِ، وَجعلَ الثّاني يرفُسُهُ عَلَى جبهتِهِ حتَّى سقطَ مَيْتاً، ثمَّ.. قَتَلَ الثّاني نفسَهُ بِحِزامٍ ناسِفٍ.

*

(29)- حِكْمَةٌ

سألَ طفلٌ معلّمَهُ: مَا الفَرقُ يا أستاذُ بينَ الإنسانِ وَالحيوانِ؟.

أجابَ المعلّمُ: الإنسانُ يتكلّمُ، وَالحيوانُ لا يتكلّمُ.

سألَ الطِّفلُ: أَلَيْسَتِ الحِكمةُ العربيّةُ ((إذا كانَ الكلامُ مِنْ فِضّةٍ فَالسّكوتُ مِنْ ذَهَبٍ)) صحيحةً يا أستاذُ؟.

المعلّمُ: بَلَى .. إنَّها جدُّ صحيحةٍ.

الطِّفلُ: أَلَيْسَ مُخجلاً يا أستاذُ أنْ تُحْسِنَ الحيواناتُ الاختيارَ بينَ الذَّهبِ وَالفضّةِ، أكثرَ مِنَ الإنسانِ؟.

لم يُجرِ المعلّمُ جواباً، فَاكتَفى بِهزِّ رأسِهِ.

*

(30)- يَبْكِيانِ

في العراقِ يلتقي أمريكيٌّ وَعربيٌّ، الأمريكيُّ حزينٌ، وَالعربيُّ حزينٌ، الأمريكيُّ يَبكي، وَالعربيُّ يَبكي، الأمريكيُّ معَهُ سلاحٌ، وَالعربيُّ لا يحملُ سلاحاً.

الأمريكيُّ: شابٌّ جميلٌ، يملكُ حُلُماً رائعاً، لَهُ في أمريكا صديقةٌ فاتنةٌ، يأملُ العودةَ إليْها.

العربيُّ: رائعةٌ، يُعظِّمُها كلُّ الشّرفاءِ في العالمِ، ماضيهَا ناصعٌ كَنُورِ الشَّمسِ، كانَ لَهَا مستقبلٌ يزهرُ بالرّبيعِ.

الأمريكيُّ: أَنَا أبكي صديقي القتيلَ .. قتلَهُ أقرباؤُكَ، وَأَنْتَ؟.

العربيُّ: وَأَنَا أبكي ((أُمَّتي)) القتيلةَ .. قتلَهَا أهلُكَ.

*

(31)–بُرْهَانٌ سَاطِعٌ

طِفْلانِ: فِلسطينيٌّ وَإسرائيليٌّ يَلتقيانِ، فَيقولُ الإسرائيليُّ:

–أبي قالَ لي: إنّكُم إرْهابيّونَ ... قَتَلَةٌ ... مجرمونَ ..

فَقالَ الفِلسطينيُّ: أبي لم يقلْ لي شيئاً.

قالَ الإسرائيليُّ: هذا لأنَّنا شعبٌ مُسالمٌ، يحبُّ الخيرَ للإنسانيّةِ.

فَقالَ الفِلسطينيُّ: لا ... لأنَّ أباكَ قتلَهُ قبلَ وِلادتي.

*

(32)–أَهْدَافُنَا

انخلعَ قلبُ السّجينِ هَلَعاً وَهُوَ يُساقُ إِلَى مَكتبِ المحقّقِ، كانَ المحقّقُ يحتسي قهوةَ الضُّحى، وَيُدخّنُ غليونَهُ، وَألسِنَةُ اللّهبِ تتراقصُ في المدفأةِ، وَجَعلَتْ أَوْصالُ السّجينِ المقرورِ ترتجفُ.

المحقِّقُ: يَا كلبُ ! عَدّدْ لي أهدافَ أُمَّتِنَا.

السّجينُ: وَاللهِ يا سيّدي .. بينَ هذِهِ الجدرانِ، في هذِهِ الظُّلْمةِ، نَسِيتُ اسمي، وَنَسيتُ أُمِّي وَأَبي، أُمّتي الآنَ تَتجسّدُ بِكمْ أنتمْ، فَهَدَفي أنْ تَنْعَمُوا أنتمْ بِالسَّعادةِ، وَأسرتُكُمْ بِالسّلامةِ وَالرّفاهِ.

المحقّقُ: كلبٌ ... كلبٌ ...آنَ أنْ تعرفَ أهدافَ أمّتِنَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ.

تناولَ المحقّقُ سوْطاً غليظاً مجْدولاً مِنْ أسلاكِ الكَهْرَباءِ، فلمْ تَعُدْ ساقا السّجينِ تَقْوَيانِ عَلَى حَمْلِهِ، فَتَهاوى عَلَى رُكبتيْهِ، وَانهالَ المحقّقُ عليْهِ ضَرباً.

–((يا كلبُ! يا كلبُ!)) وَضربَهُ.

((احفظْ هذا الدّرسَ جيّداً)) وَضَرَبَهُ.

((أهدافُنَا هيَ: الحرّيَّةُ وَالكرامةُ لِلجميعِ)) وَضرَبَهُ.

((الحرّيَّةُ وَالكرامةُ لِلجميعِ)) وضربَهُ.

((الحرّيَّةُ وَالكرامةُ لِلجميعِ)). وَمضى يُعلّمُهُ الدّرسَ.

*

(33)–مُحَقّقٌ

المحقّقُ: ما عليكَ الآنَ إلاَّ أنْ تَعترِفَ أنّكَ أنْتَ مَنْ فجّرَ العُبوّةَ النّاسفَةَ في قَمّةِ ذاكَ الجبلِ الشّاهقِ، حيثُ كانَ هَوَائيُّ الإذاعةِ.

المتّهمُ: لا ، لَنْ أعترِفَ.

المحقّقُ: لماذا؟.

المتّهمُ: لأنّي لم أصعدْ إلَى هناكَ، ولم أفجّرْ شيئاً.

اغتاظَ المحقّقُ؛ فَأَعْوَلَ: أيُّها العسكرُ! خُذُوهُ .. اقتلِعُوا أظافِرَ يديْهِ وَرِجليْهِ، وَائْتُوني بِهِ غداً.

*

المحقّقُ: وَالآنَ قُلْ لي: مِنْ أيْنَ اشتريْتَ الموادَّ المتَفَجّرَةَ الَّتي دمّرْتَ بِهَا في قِمّةِ ذاكَ الجبلِ السّامقِ هوائيَّ الإذاعةِ؟.

المتّهمُ: لا، لنْ أقولَ شيئاً.

المحقّقُ: لماذا؟.

المتّهمُ: لأنّي لم أَشتَرِ شيئاً، وَلم أُفَجّرْ شيئاً.

صرخَ المحقّقُ: احملُوهُ، اسمُلُوا عينيْهِ الاثنتيْنِ، وَائتُوني بِهِ غداً.

*

المحقّقُ: أظنُّكَ ستخبرُنَا اليومَ كيفَ صَعِدْتَ الجبلَ الصّعبَ، وَكيفَ نَسَفْتَ هناكَ هَوائيَّ الإذاعةِ؟.

المتّهمُ: لا لنْ أفعلَ.

المحقّقُ: وَلماذا؟.

المتّهمُ: لأنّني لم أصعَدْ جبلاً، ولمْ أنسِفْ شيئاً.

المحقّقُ: ماذا يُمكنُني أنَ أفعلَ بِكَ بعدَ هذا؟ سَأعلّقُكَ مِنْ قدميْكَ مُنكَّساً إِلَى أنْ تعترفَ بكلِّ شيءٍ.

المتّهمُ: لا، لا يمكنُكَ أنْ تُعلّقَني مِنْ قَدَميَّ أبداً.

المحقّقُ: لماذا؟.

المتّهمُ: لأنَّ أمّي حينَ ولدَتْني .. وَلَدَتْنِي أَكْسَحَ .. بِلا أَقدامٍ.

*

(34)النّاجِحُونَ

رئيسُ لَجْنَةِ التَّحكيمِ سألَ المتسابقَ الأوّلَ: إذا أشرقَتِ الشَّمْسُ مِنْ خلفِ الجبلِ، وَأَفَلَتْ في البحرِ، فهلِ الجبلُ في الشَّرقِ أمِ البحرُ؟.

المتسابقُ الأَوّلُ: الجبلُ في الشّرقِ.

رئيسُ لجنةِ الامتحانِ: إِجابةٌ ينقصُهَا الإبداعُ، النّتيجةُ: راسبٌ.

* * *

رئيسُ لجَنَةِ التَّحكيمِ: إذا أتيْنَا بِرَجُلَيْنِ، فقيرٍ وَغنيٍّ، وَقطَعْنا رأسيْهِمَا، فَأَيُّهُما يَبقى حيّاً، وَأيّهمَا يموتُ؟.

المتسابقُ الثّاني: كلاهُمَا يَمُوتانِ.

رئيسُ لجَنَةِ التَّحكيمِ: إجابةٌ غيرُ دقيقةٍ، النَّتيجةُ: راسبٌ.

* * *

رئيسُ لجنةِ التَّحْكيمِ: إذَا كانَتْ درجةُ الحرارَةِ في (سيبيريا) خمسَ درجاتٍ تحتَ الصّفرِ، فَكمْ تبلغُ الحرارَةُ حينَها عندَ خطِّ الاستواءِ؟.

المتسابقُ الثّالثُ: هذا يتوقّفُ عَلَى مشيئَةِ الدُّوَلِ الخمسِ، الأعضاءِ الدّائمينَ في مجلسِ الأمنِ، يا سيّدي!.

رئيسُ لجَنةِ التَّحْكيمِ: إجابةٌ ستَحُولُ دونَ إدراجِ اسمِكَ في لائحةِ النَّاجحينَ.

المتسابقُ الثّالثُ: فأَنا رَاسبٌ إذنْ؟.

رئيسُ لجَنةِ التَّحكيمِ: لا، بلْ إجابتُكَ ستجعلُكَ أَحَدَ أعضاءِ لجَنةِ التَحكيمِ، في الدَّوْرةِ التّاليَةِ.

*

(35)–العَالم الكَبِيرُ

في المسجدِ تقدّمَ الفتَى اليافعُ عَلَى استحياءٍ مِنَ (العالِمِ الكبيرِ) الَّذي تجمهرَ حُوْلَهُ المرِيدُونَ يَسألونَهُ، انتظرَ يتأمّلُ مُعْجباً، إِلَى أَنِ التَفَتَ إليْهِ (العَالم الكبيرُ) فَقالَ الغلامُ بَأَدَبٍ جَمٍّ:

–أنا ياسيِّدي الشّيخَ .. في الحقيقةِ .. أريدُ أنْ أقولَ..

-قاطعَهُ (العَالم الكبيرُ) قائلاً:

-فهمْتُ مَا تُرِيدُ ..

ثمّ رفعَ (العَالم الكبيرُ) رأسَهُ مُردّداً كَمَنْ يُكلّمُ نفسَهُ:

-وَلَكِنْ.. لسْتُ وَاثقاً بقُدْرتِكَ عَلَى فَهْمِ ما سأقولُهُ لكَ .. هلْ تمتلكُ القُدْرةَ عَلَى إِدراكِ الجوابِ؟.

انسحبَ الغُلامُ مُتَعَجّباً وَقَدْ إِلَى عَلَى نفسِهِ ألاَّ يعودَ لِلمسجدِ أبداً.

*

(36)- عِزّةٌ مُضَرِيّةٌ

1-الأوّلُ: لم يبقَ لي إلاّ كرامتي، هيَ أَنْفَسُ ما أمْلِكُ.

الثّاني: عِزّةُ نَفْسي تَأْبَى عَليَّ أنْ أنحنيَ لأحدٍ.

الثّالثُ: إذا خَسِرَ المرءُ شرفَهُ، فماذَا يبقى عندَهُ ممّا يحرِصُ علَيْهِ؟.

الرّابعُ: الواحدُ مِنّا قدْ يضحّي بحياتِهِ لِصَوْنِ كرامتِهِ، ألستُمْ معي فِي هَذَا؟.

تمرُّ طائرةٌ مُعاديةٌ وَتُلقي حمولتَهَا فوقَ البناءِ الَّذي كانُوا يقفونَ قربَهُ، فَيستحيلُ رُكاماً وَغباراً، فَيهربونَ جميعاً مَذْعورينَ إِلَى قربِ بناءٍ آخرَ.

*

2-الأوّلُ: كلُّ خسارةٍ تهونُ، إلاَّ أنْ يخسرَ الواحدُ كرامتَهُ، حينَهَا لا يعوّضُهُ عنْهَا شيءٌ.

الثّاني: رَأْسي هذا الَّذي يَشْمَخُ فوقَ جَسَدي، لم يَنْحَنِ إلاَّ للهِ عزَّ وَجلّ وَحْدَهُ.

الثّالثُ: ما أَرْوعَ السّجنَ إذا كانَ ثمناً لِلحرّيّةِ.

الرّابعُ: الرِّفعةُ وَالحياةُ في رَأْيي مُتلازمتانِ مُتَعادلتانِ.

تمرُّ طائرةٌ مُعاديةٌ ثانيةٌ وَتُلقي حمولَتَها فوقَ البناءِ الَّذي كانُوا يقفونَ قربَهُ، فَيستحيلُ رُكاماً وَغباراً، فيهربونَ جميعاً مَذْعورينَ إِلَى قربِ بناءٍ ثانٍ.

*

3-الأوّلُ: أنا لا أسمحُ لمخلوقٍ مهما كانَ أنْ ينالَ مِنْ كرامَتي.

الثّاني: يا أخي مَرْحباً بِالموتِ إذا خلَتِ الحياةُ مِنْ معاني السّيادةِ.

الثّالثُ: أسألُ اللهَ العليَّ القديرَ أنْ تَجِفَّ دمائِي في عُروقي إذا لم أُهْرَعْ إِلَى نجدةِ وطني في الشّدّةِ.

الرّابعُ: عدمْتُ شاربيَّ هَذَينِ إذا قَصّرْتُ في فِداءِ أمّتي.

تمرُّ طائرةٌ مُعاديةٌ ثالثةٌ وَتُلقي حمولَتَها فوقَ البناءِ الَّذي كانُوا يقفونَ قربَهُ، فَيستحيلُ رُكاماً وَغباراً، فَيهربونَ جميعاً مَذعورينَ إِلَى قربِ بناءٍ ثالثٍ.

يستمرُّ الحوارُ بينَهُمْ.

*

(37)- المؤْلِمُ في الأَخْبَارِ

مُذيعُ التّلفزيونِ: ((إليْكُمْ أخبارَ وطنِنَا وَأمّتِنا: في فِلسطينَ لا تزالُ إسرائيلُ تَشَنُّ غاراتِهَا عَلَى قِطَاعِ (غَزّةَ)، وَتَدمّرُ المدُنَ وَتقتلُ وَتشرّدُ المواطنينَ العربَ، وَلا تزالُ الحربُ هناكَ تدورُ بينَ حركةِ (حماسٍ) وَحركةِ (فتحٍ)، وَالدِّماءُ مِنْ كِلا الطّرفَينِ تُلطّخُ حجارةَ الرّصيفِ، وَالمسجدُ الأقصى يَستصرخُ نخوةَ (المعتصمِ).

وَفي (لبنانَ): الحربُ الأهليّةُ تحصدُ الرّجالَ وَالشّبابَ بِالجملةِ، وَبينَ الحينِ وَالآخرِ تُغِيرُ الطّائراتُ الإسرائيليّةُ وَتُلقي بِقنابلِ التّدميرِ عَلَى الأبْنِيَةِ وَالمنشآتِ الاقتصاديّةِ.

أَمّا في (أَفغانستانَ): فقدْ قُتلَ المِئاتُ مِنَ المسلمينَ وَالمجاهدينَ، وَلا تزالُ (أمريكا) تلاحقُ فلولَ المتمرّدينَ في المغاورِ، وَأقبيةِ البيوتِ وَفي الحقولِ.

وَهناكَ في (اليمنِ) لا تزالُ رحى الحربِ تطحنُ المقاتلينَ مِنْ أنصارِ (الحُوثِيِّ) وَجندِ الحكومةِ، وَتربُو الخسائرُ مِنْ كِلا الطّرَفَيْنِ عَلَى المئاتِ.

وَفي (الصّومالِ) .. وَفي (الجزائرِ) .. أمّا في (قبرصَ) .. وَفي شوارعِ (تُركيّا) وَ(باكستانَ) ...)).

وَفي أثناءِ الفَاصلِ الَّذي تخلّلَ النَّشرةَ الإخباريّةَ كالَ المخرجُ سَيْلاً مِنَ التَّقريعِ وَالتّأنيبِ وَالتّهديدِ لِلمذيعِ:

-كيفَ تُقابلُ جماهيرَ المشَاهدِينَ في أربعِ أَصْقَاعِ الدّنيا بهذهِ الأخبارِ دُونَ أنْ تُعْنَى بِوَضْعِ (الكوفيّةِ) عَلَى رأسِكَ تحتَ العقالِ كمَا يَنْبغي؟.

*

(38)-عَلَى قَلبٍ وَاحدٍ

في المساءِ قالَ الرّجلُ:

-ما الَّذي يَدعُو الأَشقّاءَ في فِلسطينَ لأَنْ يقتُلَ بعضُهُمْ بعضاً؟.

الصّبيُّ: فوزُ فريقِ (الكرامةِ) عَلَى (حطّينَ) بهذهِ النّتيجةِ الكبيرةِ غيّرَ مسيرةَ الدَّوْريِّ هذهِ السّنةَ.

البِنْتُ: الكنزاتُ ذَواتُ الياقاتِ العريضةِ أضحَتْ طرازاً مُندثراً.

الأُمُّ: جارتُنا ((أمُّ زيادٍ)) ستبدّلُ (عفشَ) دارِهَا هذَا الصّيفَ.

الرّجلُ: إنْ كانَ بعضُنا يقتلُ بعضَنَا، كيفَ سَننتصرُ عَلَى عدوِّنَا إذنْ؟.

البِنْتُ: في سوقِ (الحميديّةِ) تُعرضُ هذهِ الأيّامَ أَحْدَثُ الأحذيةِ ذواتِ السّاقِ الطَّويلِ.

الأُمُّ: سمعْتُ أنَّ (أمَّ زيادٍ) سَتَخْطِبُ لابنْهَا بِنْتَ (أُمِّ رِضوانَ)، لقدْ اتَّفقُوا عَلَى مَقدّمِ المهرِ، وَاشتَرَوُا (العلامةَ).

الصّبيُّ: لَيْتَنَا كُنّا أغنياءَ، إِذَنْ لَذهبْتُ إِلَى (لَندَنَ) لأَشْهَدَ مُبارياتِ الدَّوْريِّ الإنكليزيِّ الَّتي سَتنطلقُ يومَ الأحدِ بعدَ القادمِ.

الرّجلُ: لا أدري كيفَ يجدُ النّاسُ وقتاً لِلخِطْبَةِ وَالزّواجِ، وَالعالم مَشْغولٌ بِالحروبِ وَالقتلِ؟.

الصّبيُّ: عالَمٌ مجنونٌ، وَإلاَّ فَكيفَ تُباعُ أحذيةٌ كَعْبُهَا عالٍ، وَهِيَ لا تَصلحُ لِلرّكضِ في الملاعبِ؟.

البِنْتُ: كثيراً مَا أَتَساءَلُ: لماذا يَزْهَدُ البشرُ بالجَمَالِ وَالرّشاقةِ، وَيُنفقونَ أموالَهُمْ للسِّلاحِ، أَوِ الرّكضِ وَرَاءَ كرةٍ؟!.

الأمُّ: وَهلْ تظنّونَ أنَّ الآخرينَ جميعاً مِثْلُنا، عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ؟.

ارتسمَتْ بَسْمةُ الرّضا عَلَى ثُغورِ الجميعِ، وَنهضَ كلٌّ إِلَى سريرِهِ.

*

(39)– مَمْنُوعَاتٌ

فِي الشّارِعِ قرأَ: يُمنعُ لَصْقُ الإعلاناتِ عَلَى هذا الجدارِ، وَعلى واجهةِ المحلِّ.
فِي المشْفَى قرأَ: يُمنعُ إدخالُ الطّعامِ إِلَى حُجْرَةِ المريضِ – تُمنعُ الزّياراتُ فِي غيرِ أوقاتِ الزّيارةِ – ممنوعٌ رفعُ الصّوتِ – ممنوعٌ إشعالُ النُّورِ بعدَ العاشرةِ ليلاً.
فَكَّرَ: حتّى مَتَى تُكَمُّ أفواهُنَا، وَيُفْرَضُ علَيْنا العَيْشُ فِي الظّلامِ؟.
وَعلى عُلْبَةِ الدّواءِ قرأَ: يُمنعُ تعاطي هذَا الدّواءِ إلاَّ باسشارةٍ طِبيّةٍ – يُمنعُ وضعُ الدَّواءِ فِي مُتَناوَلِ الأطفالِ – يُمنعُ وضعُ الدَّواءِ فِي درجةِ حرارةٍ تزيدُ عَلَى الثّلاثينَ – يُمنعُ تعريضُ الدَّواءِ لأشعّةِ الشّمسِ المباشرةِ.
تَساءَلَ فِي سِرّهِ: مَا أصلُ هذا العِدَاءِ التّاريخيِّ بينَنَا وَبينَ أشعّةِ الشّمسِ؟.
وَفِي الفُنْدقِ قرأَ: ممنوعٌ التّفُّ وَالنَّفُّ وَالبصاقُ عَلَى الأرضِ – يُمنعُ استعمالُ (التلفزيونِ) بعدَ مُنتصفِ اللّيلِ.
وَعلى لائحةِ امتحاناتِ التّلاميذِ قرأَ: يُمنعُ اصطحابُ (اللوغارتماتِ) وَ(الآلاتِ الحاسبةِ) إِلَى قاعةِ الامتحانِ – ممنوعٌ التّدخينُ...
وَفِي لائحةِ مُراقبي الامتحاناتِ: يُمنعُ الاقترابُ مِنَ التّلاميذِ وَقراءةُ ما يكتبونَ – تُمنعُ الإجاباتُ عَنْ أيِّ سؤالٍ أوِ استفسارٍ – يُمنعُ اجتماعُ المراقِبينَ وَالتّحدّثُ معَ بعضِهِمْ.
-ممنوعٌ التّكلّمُ معَ السَّائقِ – ممنوعٌ استعمالُ الزّمّورِ – ممنوعٌ قطفُ الأزهارِ – ممنوعٌ عبورُ الشّارعِ إلاَّ مِنَ الممرّاتِ المخصّصةِ – ممنوعٌ السّيرُ فوقَ المسطّحاتِ الخضراءِ ...

لا يجدُ أمامَهُ إلاَّ الممنوعاتِ، فتولّدَتْ عندَهُ عادةُ قراءتِهَا، نحنُ: (أمّةُ الممنوعِ) قبلَ المبَاحِ، لكنّهُ أبداً يَتُوقُ إِلَى أنْ يقرأَ: ممنوعٌ جَرْحُ شعورِ الآخرينَ، وَيُمنعُ أكلُ حقوقِهِمْ.

*

(40)– أَنَا مُخْتَلِفٌ

رَجُلٌ: إِلامَ سَنَبْقى مُتَخلّفينَ، في أَدْنى درجاتِ سُلّمِ الأُمَمِ؟.

صديقُهُ: مَا سببُ تخلُّفِنا في رأيِكَ؟.

الرّجلُ: الإخلافُ بِالوعدِ.

صديقُهُ: مثلُ مَاذا؟.

الرّجلُ: الأبُ يَعِدُ ابنَهُ بِرِحْلَةٍ، ثُمَّ يُخلفُ، رَبُّ العملِ يَعِدُ عمّالَهُ بتحسينِ وضعِهِمُ الاقتصاديِّ، وَتمرُّ الأعوامُ وَهُمْ لا يزدادُونَ إلاَّ فقراً، الزّوجُ يَعِدُ زوجتَهُ بِشراءِ مَا تشتهيهِ، ثُمَّ يتشاغلُ عنَ الوفاءِ، الحكومةُ تَعِدُ المواطنينَ بِتحديدِ الأسعارِ ثُمَّ لا تعتذرُ عنْ إخلافِهَا، الأممُ العُظمى تَتبجّحُ بِنشرِ (الدِّيموقراطيّةِ) وَالرّفاهِ، ثُمَّ لا تَزدادُ الشُعوبُ إلاَّ ذُلاًّ وَجوعاً، الكلُّ يَعِدُ ثُمَّ يُخْلِفُ، فَكيفَ نتطوّرُ؟.

الصَّديقُ: تَذكّرْتُ الآنَ يا صديقي شَيئاً، منذُ شهورٍ قلْتَ إنّكَ سَتُقْرِضُني مبلغاً، أَلاَ تذكرُ هذَا؟.

الرّجلُ: بلى أذكرُهُ، وَأذكرُ أنّي اشترطْتُ أنْ تُمْطرَ السّماءُ، وَأَنْ يكونَ الموسمُ وافراً، حتّى أُقرضَكَ، لكنَّ السّماءَ أخلفَتْ وَعْدَهَا يَا صَاحبي.

*

(41)– في المكانِ المناسِبِ

يُحْكى أنّهُ كانَ في قديمِ الزّمانِ مَلِكٌ، شقَّ شارعاً عَرِيضاً، وَجعلَ لَهُ أَرْصفةً مُبلّطةً بِأترفِ الرّخامِ، غرسَ فيها أشجارَ جَوزٍ وَلَوزٍ وَرُمّانٍ، وَثبَّتَ فيهِ لافتاتٍ كهربائيّةً، ليلاً تُومضُ وَتنطفئُ، وَبينَ مرحلةٍ وَأخرى أقامَ عليْهِ جسوراً تُعبَرُ بِأدراجٍ مُتحرّكةٍ، وَبنى عليْهِ مواقفَ وَمِظلاّتٍ تحتَهَا كَرَاسٍ وَطاولاتٌ مِنَ الخَيزُرانِ لِراحةِ العابرينَ.

لكنَّ الرّعيّةَ بَقِيَتْ تزدحمُ في السّوقِ، وَذاكَ الشّارعُ الباذخُ الّذي أقامَهُ الملكُ لم يَسِرْ فيهِ أحدٌ، بِحجّةٍ وَاهِيَةٍ تافهةٍ تذرَّعَتْ بها الرّعيّةُ؛ وَهِي أنَّ هَذا الشّارعَ أُقيمَ في مِنْطَقةٍ خاليةٍ تماماً مِنَ السّكّانِ.

*

(42)– صِلَةُ رَحِمٍ

ما زَارَتْني أُخْتي (أُمُّ أحمدَ) يوماً في داري الفقيرةِ المتداعيةِ إلاّ بغّضَتْ إِليَّ داري، وَجَرّدَتْني مِنْ قَنَاعتي بِهَا، وَرِضايَ بِحَياتي فِيهَا:

–لماذا قَبِلْتَ عَلَى نَفْسِكَ هذا السّجنَ الطّوعيَّ؟.

–ما هذا القبرُ الّذي تَدْفِنُ نفسَكَ فيهِ؟.

–لماذا لا تخرجُ مِنْهُ؟ تعالَ إِلَى حَيّنَا لِتَرَى النّاسَ كيفَ يَعيشونَ.

وَلا تنصرفُ أُخْتي، ابنَةُ أَبي وَأُمّي، إِلاّ بعدَ أنْ تَسْوَدَّ الدّنيا في نَاظِرَيَّ.

وَيومَ جئتُها أقولُ:

-يَا أُختي! يا أُمَّ أحمدَ! يقولُ المثلُ: ((على قَدْرِ لِحافِكَ مُدَّ رِجليْكَ))، وَأنا – وَاللهِ العظيمِ – مددْتُ رِجْلَيَّ عَلَى قَدْرِ لِحافي فقطْ، لم أَزِدْ عَلَى ذلكَ سنتيمتراً واحداً؛ أخذْتُ بنصيحتِكِ وَابتعْتُ لِسَكَني نِصْفَ (قَبْوٍ)، في بناءٍ مُتَواضعٍ في حَيٍّ مُتواضعٍ، وَرتَّبْتُ عَلَى نفسي دُيوناً حانَ وقتُ وفائِها، وَأَنْتِ بِحمدِ اللهِ غنيّةٌ.

تَمَلْمَلَتْ أُخْتي ابنَةُ أَبي وَأُمّي قائلَةً: لماذا الدُّيونُ؟! بِمقدورِكَ إِجْراءُ تحسيناتٍ طفيفةٍ عَلَى دارِكَ هذهِ تَفِي بِالغرضِ.

-فاتَ أوانُ هذهِ النّصيحةِ يا أُخْتي، فَأَقْرِضِيني – رضيَ اللهُ عنْكِ – عَشَرَةَ آلافِ ليرةٍ.

فَكّرَتْ شقيقتي، بِنْتُ أَبي وَأُمّي، بِطَلَبي مَليّاً ثُمَّ:

-أَنا لا أُنْكِرُ نعمةَ اللهِ عَلَيّ، فَلَدَيَّ – وَالحمدُ للهِ – نقودٌ، لكنّي لا أستطيعُ إِقراضَكَ يَا أخي.

-لماذا يا أُختي ، يا أُمَّ أحمدَ؟.

-مُوَظّفٌ أنتَ يا أخي، مُرَتّبُكَ لا يشْبِعُكُ خُبزاً، وَتَسْتقرضُني مبلغاً كبيراً، فَكيفَ سَتَتَمكّنُ غداً مِنْ سدادِهِ لي؟.

أَدْرَكْتُ حينَهَا أَنّ أُختي قَلْبُها عَلَيّ، فَهيَ تَخْشَى ألاَّ أتمكّنَ مِنْ سدادِ دَيْنِها، فَأَدْخلَ النَّارَ.

*

(43)– القَانُونُ

حينَ يتناقشُ المثقّفونَ كنْتُ أسمعُهُمْ يُردّدونَ: ((كُلُّ مُواطنٍ بَريءٌ حَتّى تَثْبُتَ إدانتُهُ)).

وَحينَ استُدْعِيتُ إِلَى مخفرِ الشّرطةِ، تَبيّنَ لي جَهْلُهُمُ الكبيرُ، وَخَطَؤُهُمُ القاتلُ؛ الحقيقةُ الَّتي لا مِراءَ فِيهَا هيَ: ((كُلُّ مُواطنٍ مَدينٌ حتَّى يَشْتَرِيَ براءَتَهُ)).

*

(44)- في المسْلَخِ

في القفصِ انتفضَتْ دجاجةٌ وَصاحَتْ:

-هلْ بَيْنَكُنَّ مَنْ تُفسّرُ لي ما يَحدُثُ لنا؟.

أجابتْهَا دجاجةٌ أُخرى: عَلَيْنا أنْ نَرْكَنَ إِلَى الأمانِ، مادامَ الدِّيكُ يَرْعانا.

احتجَّتْ دجاجةٌ في أقصى القفصِ: مَصيرُنا في أَيْدٍ أمينةٍ، فاخْلُدْنَ إِلَى الرّاحةِ.

عادَتِ الدّجاجةُ المنتفِضَةُ تصيحُ: أَلاَ تُفَكّرنَ بهذهِ اليَدِ الملطّخةِ بِالدّمِ الَّتي تمتدُّ إِلَى القفصِ المرّةَ تِلْو المرّةِ، وَتنتزعُ في كلِّ مرّةٍ واحدةً منّا، وَتمضي بها دُونَ عَوْدَةٍ؟.

تثاءَبَتْ واحدةٌ وَقالَتْ بِكسلٍ: أنا عَلَى يَقِينٍ لوْ أنَّ الخطرَ يتربّصُ بِنا، لَحَمَانا الدِّيكُ منْهُ.

تَعالى صياحُ الدَّجاجةِ المنتفضَةِ: وَلكنْ .. أينَ الدِّيكُ؟. ذهبَتْ بِهِ اليدُ الملطّخةُ بِالدّمِ إِلَى حيثُ لا رجعةَ، ما أَرَى إلاَّ أنّهُ قدْ ذُبِحَ.

هَمْهَمَتْ إِحْدى الدّجاجاتِ: لا تقلقْنَ يا أَخَوَاتي، فقطْ أغمضْنَ أعينَكنَّ بهدوءٍ، سَيأتي الدِّيكُ لِيَحمِيَنا... سيأتي الدِّيكُ ...

الدّجاجاتُ كلّهُنَّ استسلمْنَ لِسُباتٍ عميقٍ هادئٍ، إلاَّ المنتفضةَ فقدْ بقيَتْ تُقَلّبُ عينيْهَا حولَهَا في قلقٍ، انفتحَ بابُ القفصِ وَامتدّتِ اليدُ الملطّخةُ بِالدّمِ، وَأهوَتْ عَلَى الدّجاجةِ المنتفضَةِ، وَسحبَتْها مِنَ القفصِ وَأغلقَتْ بابَهُ، ضجّتِ الدّجاجةُ بِالصِّياحِ، إلاَّ أنَّ الأُخْرياتِ بَقِينَ نائماتٍ بِأمانٍ.

*

(45)- القَوْلُ مَا قَالَهُ الكِسَائيُّ

لما احْتَدَم الجدلُ بينَ الأستاذِ وَالتّاجرِ، وقَفَا يحدّقُ كلٌّ منْهُما في عَيَني الآخرِ بتحدٍّ، فانقسمَ الحاضرونَ طائفتينِ، أيّدَتْ إحداهُمَا الأستاذَ، وَتحزّبَتِ الأخرى لِلتّاجرِ، قالَ التّاجرُ:

-((منْ أينَ لكَ العلمُ، وَأنتَ لا تجدُ ما يُشْبعُ جوعَ بطنِكَ؟)).

الأستاذُ: أمّا هذهِ فَحقٌّ، إنّي أشكو فقراً مُدْقعاً لا يَجْفُوني.

التّاجرُ: أَمَا يقولُ عِلْمُكُمْ ((إذَا جاعَتِ البطونُ طاشَتِ العقولُ)). فَأنّى لكَ الحكمةُ؟.

الأستاذُ: أَلَمْ تَشْكُ المخْمَصةَ يوماً في حياتِكَ كلِّهَا؟.

التَّاجرُ: (مُستنكراً) أنا أَشكو المخمصةَ؟! أنا دائماً أَشْكو البِطْنَةَ.

قالَ الأستاذُ بِصوتٍ هادئٍ مُفعمٍ بِالنّصرِ: لِأمثالِ هذَا قَالُوا: ((البِطْنَةُ تزيلُ الفِطنةَ)).

التفتَ التّاجرُ إِلَى الحاضرينَ وَصرخَ: أيّها النّاسُ! ماذا تقولونَ؟.

بِصوتٍ واحدٍ قالَ الجميعُ معاً: القولُ ما قلتَهُ أنتَ يا سيّدِي.

*

(46)– قَدْ كُنْتَ أَسْمَعْتَ

بلغَ الخطيبُ في الحماسةِ مُنْتهاها، وَجْهُهُ يَبْيضُّ وَيسودُّ، وَيَخضرُّ وَيصفرُّ، كانَ يُرغي وَيُزبدُ، وَيُعْلي وَيُخْفِضُ، وَيُندّدُ وَيشْجُبُ وَيَسْتَنْكِرُ، يَسْتحثُّ الهِمَمَ، وَيَستحلفُ الضَّمائرَ وَالعهدَ، يَستنهضُ القاعدينَ، وَيُوقظُ النّائمينَ، وَيُنَبِّهُ الغافلينَ، وَيشجّعُ الجُبناءَ، وَيُغْري الشُّجعانَ، وَيفضحُ المتَخاذلينَ، وَيَسْتثيرُ نخوةَ المعتصمِ، أمَّا أَنَا فقدْ رانَ عَلَى أُذُنيَّ هدوءٌ وَسَكِينةٌ لَذِيذَتانِ، وَلَمّا أفقْتُ مِنَ النّومِ، ختمَ الخطيبُ كلمتَهُ:

-إنّنا نُعَوّلُ عليكُمْ فيما يَعْتَري مِنَ الخُطُوبِ.

فغضبْتُ غضبةً مُضريّةً: لماذا لم يُوقظْني أَحَدٌ مِنَ الحاضرينَ؟.

سَاخطاً التفَتُّ يميناً، ساخطاً التفَتُّ شِمالاً، إِلَى الأمامِ .. إِلَى الوراءِ .. هدأَتْ ثَوْرَتي .. فقدْ أَلْفَيْتُ جيراني كلَّهُمْ .. نائمينَ.

*

(47)– قَاهِرُ الطُّرُقِ

فَتَلَ سائقُ سَيّارةِ الأجرةِ شاربَهُ بِاعتدادٍ، وَقالَ لِلرّجلِ الجالسِ جانبَهُ:

– تَبدو غريباً ... أَنْتَ سائحٌ؟.

الرّجلُ: نعمْ يا سيّدي، سائحٌ.

السّائقُ: كيفَ رأيْتَ قيادتي لِلسّيارةِ؟.

السّائحُ: تبدو ماهراً يا سيّدي.

السّائقُ: أنا قادرٌ عَلَى الصّعودِ بها إِلَى أَصْعَبِ القِمَمِ، وَالانحدارِ إِلَى مَهاوٍ خَطِرَةٍ لا يَقْوى عَلَيها أحدٌ غَيْري.

السّائحُ: أنا لا أشكُّ بهذا أبداً.

فتلَ السّائقُ طَرَفَ شاربِهِ وَقالَ: لقدْ قهرْتُ بهذهِ السّيّارةِ السّهلَ وَالصّحراءَ وَالجبلَ.

السّائحُ: لا غرابةَ في ذلكَ.

السّائقُ: أعرّفُكَ بِنَفْسي، أنا ((قاهرُ الطُّرُقاتِ))، وَلكنْ قلْ لي: ما عملُكَ أنتَ في بلادِكَ؟.

السّائحُ: أنا – يا سيّدي – المهندسُ الَّذي يُصمّمُ وَيَصْنَعُ هذا النّوعَ مِنَ السيّاراتِ.

*

(48)–عِنْدَمَا صَارَ الرِّجَالُ حَمْقَى

احْتِجاجاتُ النِّساءِ كُلُّها صَبَّتْ في مِحْوَرٍ واحدٍ: ((يَتعرّضُ لنا الشّبابُ في الشّوارِعِ وَيُسْمِعُونَنا كلاماً تَأْباهُ أنفسُنَا، نَدْعو المسؤولينَ إِلَى التّدخُّلِ، وَحمايتِنا مِنْ هذا الأَذى)).

مَساءً صدرَ مرسومٌ رِئاسِيٌّ يتوعّدُ الّذينَ يَجْتَرحونَ هذا الإثمَ بِالعقوبةِ الرّادعةِ.

الْتزَمَ الذُّكُورُ مَضمونَ المرْسومِ، وَنفّذُوهُ بِكلِّ دِقّةٍ وَأمانةٍ، ففي طولِ البلادِ وَعرضِها لم ينظرْ ذَكَرٌ إِلَى وجهِ أُنْثى.

وفِي إحدى المؤسّساتِ، أَدْنَتْ موظّفةٌ وَجْهَها مِنْ زميلتِها وَسألَتْها:

-منْ فضلِكِ، انظرِي .. أَلَيْسَتْ زينتي ناجحةً؟.

تأمّلَتْهَا زميلتُهَا بِتفحُّصٍ، ثُمَّ قالَتْ: قمرٌ.. وَاللّهِ قَمَرٌ.

مَطَّتِ الموظّفةُ شفتيْهَا وَأَبْدَتْ امتعاضَهَا:

-لماذا إِذَنْ عَلَى امتدادِ الطَّرِيقِ، لم ينظرْ أحدٌ منْ هؤلاءِ الرِّجالِ الحَمْقَى إليَّ؟!.

*

(49)- ((فَضِيلَةٌ)) بِالإِكْرَاهِ

الذّئبُ : لِحُسنِ حظِّكِ أيّتُها الشّاةُ وَجَدْتُكِ أخيراً.

الشّاةُ: أَراكَ أَطْلَقْتَ لِحْيَتَكَ، وَاتّخَذْتَ عصًا تَتَوَكّأُ علَيْها، هلْ صرْتَ حَكيماً أَيّهَا الذّئبُ؟!.

الذّئبُ: جئْتُكِ يا عزيزتِي أُعَلّمُكِ كيفَ تدفعينَ عَنْ نفسِكِ خطرَ الافتراسِ.

الشّاةُ: خطرُ الافتراسِ يَأْتيني منْ قِبَلِكَ أنتَ أيُّها الذّئبُ.

الذّئبُ: يَبْدو أَنَّ دعاياتِ أَعْدائي، الحيواناتِ المفترسةِ قدْ ضلّلَتْكِ يا عزيزَتِي.

الشّاةُ: ما الَّذي يَدعوكَ لِحِمايَتي أيُّها الذّئبُ؟ !.

الذّئبُ: وَاجِبُ الفضيلةِ، وَفضيلةُ الوَاجبِ.

الشّاةُ: وَإذا أَبَيْتُ فضيلتَكَ هذِهِ؟.

الذّئبُ: في هذهِ الحالِ، الواجبُ يُمْلي عَلَيّ أَنْ أَقْسِرَكِ علَيْها.

عندَهَا عاجلَهَا الذّئبُ بِوَثْبةٍ، وَأَنْشَبَ فِيهَا مَخالبَهُ ثُمَّ أنيابَهُ، لا لِشَيءٍ ... إلاّ لِيُرْغِمَها عَلَى الإيمانِ بِفضيلَتِهِ.

*

(50)– ثُغْرَةٌ في السُّورِ

حاولَ الذّئبُ اقتحامَ الزّريبةِ فَأَخفقَ، وَجَدَ جُدرانَهَا منيعةً، وَبابَهَا صفيقاً، فَأَقْعى قريباً يَترقّبُ.

داخلَ الزّريبةِ احتدمَ الخلافُ وَ دَبَّ الذّعرُ بينَ الشّياهِ، فَجعلَتْ تَثْغُو وَتتناطحُ وَتضغطُ متزاحمةً عَلَى هذا الجدارِ وَعَلَى ذاكَ، وَفي إحدى مَوجاتِ الغضبِ وَالثّورةِ، ضغطَ كثيرٌ مِنْها عَلَى البابِ حَتَّى تحطّمَ تحتَ وطأةِ تدافُعِهَا، حينَهَا وثبَ الذّئبُ عَلَى الشّياهِ.

*

(51)– مُقَابَلَةٌ إِذَاعِيّةٌ

المذيعُ: ما اسمُكَ يا سيّدي؟.

المواطِنُ: (لا يجيب).

المذيعُ: سيّداتي وَسَادتي! لم يُفْصِحْ هذا المواطنُ عنِ اسمِهِ، لإيمانِهِ أنَّ الأسماءَ وَالصّفاتِ وَالألقابَ لا تهمُّنَا؛ نعودُ إِلَى مُوَاطِنِنَا.. ما عملُكَ أيُّها المواطنُ؟.

المواطنُ: (لا يردُّ).

المذيعُ: لا ريبَ – سيّداتي وَسادَتي – أنَّهُ يُؤَدّي دورَهُ في بناءِ هذا الوطنِ المِعْطاءِ بِصَمْتٍ، قلْ لي أيُّهَا المواطنُ الشّريفُ:

-هلْ تعيشُ في بُحْبُوحَةٍ، وَفي (مهدِ عِيسَى) بِمُرَتّبِكَ الحكوميِّ الشّهريِّ؟.

المواطنُ: (يُطرقُ بِرأسِهِ بِانكسارٍ).

المذيعُ: مَطاعمُ النّجومِ الخمسِ، وَ(شاليهاتُ السّاحِلِ، وَفنادقُ الدّرجةِ الممتازةِ، وَملاهي عَوَاصِمِ الغربِ تَفْتَحُ أَبوابَهَا لَكافّةِ الرُّوّادِ ليلاً نَهاراً، وَمُواطِنُنَا يَعرفُ هذا جَيّداً.

أَخيراً أَسْأَلُكَ أيُّهَا المواطنُ الصّالحُ:

-مَا أهمُّ إنجازٍ تطمحُ الآنَ إِلَى تحقيقِهِ؟.

المواطنُ: (بِاندفاعٍ وَحماسةٍ) أَنْ أنتحرَ.

المذيعُ: يا اللهُ – أيُّهَا السّادةُ !– مَا أَرْوَعَ العلاقةَ بينَ هذا المواطنِ وَهذا الوطنِ؛ لقدْ أَدَّى كلٌّ منْهُمَا لِلآخرِ حقوقَهُ حتّى ... الثُّمالةِ، وَلم تعدْ جَعْبَتاهُمَا تَتّسعانِ لِمزيدٍ.

*

(52)–خَصْلَةٌ في الآباءِ يَتَوارَثُها البَنُونَ

في 2006/5/9/ وَصَلَ إِلَى ثَانَوِيّتِنَا كتابٌ منْ مديريّةِ التّربيةِ، وَفيهِ إعلانُ مُسابقةٍ لِمَنْ يرغبُ في تقديمِ بَحْثٍ عنْ (تنميةُ البيئةِ وَالحفاظُ عليْهَا)، وَكانَتِ الجائزةُ مبلغاً سَنيّاً، يَستحقُّ التَّعبَ وَالاشتراكَ في المسابقةِ، وَلَكِنْ .. حينَ قرأْنَا في آخرِ الكتابِ أنَّهُ تَنْتهي مدّةُ إرسالِ المساهماتِ في 2006/4/15/،

تَعجّبْنا غايةَ التَّعجُّبِ، وَ –دُونَ كلامٍ طَبْعاً– استنكرْنَا أقصَى الاستنكارِ، ثُمَّ حَلَّ أَجَلٌ أَعْلَنّا نحنُ فيهِ بِدَوْرِنا مُسابقةً مدرسيّةً بينَ تَلاميذِ ثانويّتِنَا، وَعلَّقْنا كتابَ الإعلانِ في لوحةِ الإعلاناتِ، ثُمَّ ... في اليومِ التّالي، لم نُفاجأْ أبداً، وَلم نستنكرْ مُطلقاً، حينَ وَجَدْنا التَّلاميذَ قدْ قَطّعوا وَرَقَةَ الإعلانِ، وَأَخْفَوْا أثرَهَا، فتلاميذُنَا مُخْلصونَ جدّاً لِلمبدأِ الَّذي يَقُولُ: ((خَصْلَةٌ في الكِبَارِ يَتَوَارَثُهَا الصِّغَارُ))، وَ((مَنْ شَابَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ)).

*

(53)–أَظُنُّهُ رَجُلاً

في زحمةِ السّوقِ، أمامَ بصرِ الجماهيرِ وَسمعِهِمْ، انهالَ رَجُلٌ عَلَى مُواطنٍ لَكْماً وَلَطْماً وَصَفْعاً وَعَضّاً وَرَكْلاً وَرَفْساً، ... وَجعلَ يَشْتِمُهُ:

–يا كلبُ يا حقيرُ، يا نَذْلُ، يا جبانُ، يا حُثَالَةُ، يا سافلُ، يا مُنْحَطُّ، يا قَذِرُ، يا دَنِيءُ ..

وَتهدّدَهُ وَتوعّدَهُ: سأقتُلُكَ، سأذبَحُكَ، سأقطِّعُكَ إرْباً إرْباً، سأجعَلُكَ عِبْرَةً لِكلِّ مُعْتَبِرٍ، سأشنُقُكَ، سأثقُبُكَ بِالرّصاصِ كَالغِربالِ، سأصلُبُكَ، سأُجْلِسُكَ عَلَى الخازوقِ، سأُمَثّلُ بِكَ، سأهْرَؤُكَ في السّجْنِ، سأَسْمُلُ عينيْكَ، وَأَجْدَعُ أنفَكَ، وَأَصْلِمُ أُذُنَيْكَ، وَأَبْقُرُ بَطْنَكَ، سأقتلعُ أظافرَ يديْكَ وَرِجليْكَ، ثُمَّ أبترُهُمَا، سأقتلعُ شعرَ رأسِكَ وَجُفونَكَ.

وَأَنْذَرَهُ: سأقتلُ أباكَ وَجدَّكَ، وَأَنْكِحُ زوجتَكَ وَأختَكَ وَأمَّكَ، سأَحُوزُ عَلَى أموالِكَ المنقولةِ وَغيرِ المنقولةِ، سأرمِيكَ عَلَى قارعةِ الطّريقِ...

وَلما تعبَ الرّجلُ، نفضَ يديْهِ، وَأصلحَ هندامَهُ، ترَكَ المواطنَ وَانصرفَ.

جَثَا المواطنُ عَلَى ركبتَيْهِ مُتهالكاً، فَسألَهُ مُواطنٌ آخرُ:

-لماذا انْتَهَكَ هذا الرّجلُ أَمْنَكَ أَيُّها المواطنُ؟

قالَ المواطنُ: لا أدري.

سأَلَ المواطنُ الآخرُ: أَلاَ تَعرفُهُ؟.

أجابَ المواطنُ: لا.

سألَهُ المواطنُ الآخرُ: لماذا لمْ تَدافعْ عنْ نَفسِكَ؟.

قالَ المواطنُ: لا أستطيعُ.

استنكرَ المواطنُ الآخَرُ: لماذا؟.

قالَ المواطنُ: مَاذَا إذا كانَ (رَجُلَ أَمْنٍ)؟.

فَسَكَتَ المواطنانِ معاً.

*

(54)-مُقَابَلَةٌ صُحُفِيّةٌ

سأَلَ صُحُفيٌّ: يا رفيقُ (صلاحَ الدّينِ الأيّوبيَّ)! القُرّاءُ يُحِبّونَ أنْ يعرفوا: (كيفَ تبوّأْتُمْ هذهِ المكانةَ السّاميةَ في تاريخِنَا؟).

صلاحُ الدّينِ الأيّوبيّ: الفضلُ في ذلكَ كلِّهِ يعودُ إِلَى (مُنظّفِ الدّيكِ)، فَأَنا وَأسرتي لا نغسلُ ثيابَنَا الدّاخليّةَ، وَلا نَسْتحمُّ وَلا نمسحُ بَلاطَ المنزلِ وَدرجَ البناءِ، وَرصيفَ الشّارعِ، وَأشجارَ الحديقةِ العامّةِ إلاَّ بهِ.

فـ (مُنظّفُ الدّيكِ) وراءَ كُلِّ نجاحٍ في السّماءِ وَالأرضِ.

*

(55) –حَرَارَةُ الشّمسِ

مَدَّتِ الشّمسُ أشعّتَهَا مِنَ النّافذةِ إِلَى داخلِ المنزلِ، فوجدَتْ جُدرانَهُ مُشقّقةً، وَوجوهَ قَاطنيهِ شاحبةً، فِي عيونِهِمْ يسكنُ الخوفُ منَ الغدِ.

حينَ وضعَتِ الأمُّ صحنَ الزّعترِ وَالزّيتِ فَطوراً لأبنائِهَا شِبْهِ العَراةِ، صاحَتْ فيهِمْ:

–صفيحةُ الزّيتِ تكادُ تفرُغُ، لا تُسْرِفُوا فِي غمسِ الخبزِ بِالزّيتِ.

حزنَتِ الشّمسُ جدّاً، وَرفعَتْ حرارتَهَا لعلَّهَا تبعثُ فِي أجسادهِمُ المهزولةِ بعضَ دفئِهَا، فَشَكا المصْطافونَ:

–غريبٌ تقلّبُ الطّقسِ.. كيفَ ندفعُ عنّا هذا الحرَّ الشّديدَ؟.

خلعُوا ثيابَهُمْ وَرَمَوْها عَلَى أَسِرَّةِ منازِلِهِمْ المكيّفَةِ، وَهُرِعُوا إِلَى أحضانِ البحرِ شبهَ عُراةٍ.

*

(56)–(زَيْدٌ) الفَقِيرُ

كانَ (زيدٌ) عاطلاً عنَ العملِ وَالأملِ، فجاءَ (عمراً) مُسْتنجداً، وَجَدَ (عمرٌو) زيداً مُشرّداً فآواهُ، جائعاً فَأشبَعَهُ، ظمآنَ فَرَوَاهُ، عارياً فَكَسَاهُ، خائفاً فَأَمَّنَهُ، يائساً فَأمَّلَهُ، جريحاً فَدَاواهُ، عاثِراً فَأَقالَهُ، ماشياً فَحَمَلَهُ، وَلما دارَتْ أحاديثُ السّمرِ تحتَ مصابيحِ السّهرِ، جعلَ (زيدٌ) يفخرُ بَأنّهُ وُلِدَ وَفِي فَمِهِ ثَدْيٌ منْ ذَهَبٍ، وَأنّهُ يأكلُ بِشوكةٍ منْ أَلْماسٍ ...

وَفي إِحدى الأُمْسِيَّاتِ قالَ لَهُ أحدُهُمْ:

-سأَلَني عنْكَ (عَمرٌو).

قالَ (زيدٌ): مَنْ (عمرٌو) هذا؟ أنا لا أعرفُ أحداً بهذا الاسمِ.

*

(57)-بَصْمَةُ الإِبْهامِ الأَيْسَرِ

طلبَ صَغيرٌ إِلَى جَدّتِهِ أنْ تُوَقِّعَ لَهُ عَلَى (أُوتوغْرافِهِ)، فَبَصَمَتْ بِإِبهامِها الأيسرِ وَقالَتْ:

-أنا لم أذهبْ إِلَى المدرسةِ مثلَكَ، خُذْ هذا يا حبيبي وَاحتفظْ بِهِ.

نظرَ الصَّغيرُ في دفترِهِ، فوجدَهُ مُلِئَ حُبّاً وقُبَلاً وَحكاياتٍ رائعةً عنْ علاءِ الدّينِ وَالفانوسِ السّحريِّ، وَفاطمةَ ستِّ الحُسْنِ وَالدّلالِ.

دفعَ الصّغيرُ دفترَهُ إِلَى مَعلّمِهِ فَكتبَ لَهُ: ((احْفَظِ التّاريخَ وَالجغرافيةَ وَالجبرَ وَالهندسةَ)).

وَلما وَقّعَ القمرُ عَلَى الدّفترِ تركَ عَلَى صفحتِهِ هالةً سَاطعةً وَكثيراً منَ النّجومِ البرّاقةِ.

وَفي المساءِ وضعَ الصَّغيرُ دفترَهُ في الشّرفةِ لِيُوقِّعَ اللّيلُ عليْهِ ... صباحاً وَجَدَ دفترَهُ مُسْودّاً حالكاً، لا أثرَ لِلضّياءِ فيهِ، بكى التّلميذُ وَحملَ دفترَهُ إِلَى الشّمسِ يَشكو لَهَا ما فعلَهُ اللّيلُ، فَابتسمَتِ الشَّمسُ وَمدَّتْ أشعّتَهَا وَوقّعَتْ عَلَى الدّفترِ، فعادَ أبيضَ ناصعاً، حملَ الصّغيرُ دفترَهُ مُغتبطاً وَمضى يجمعُ التّوقيعاتِ.

*

(58)– الاخْتِيارُ الحُرُّ

اقتادَ الجنودُ المواطنينَ منْ مساكنِهِمْ وَأَوْقَفوهم أمامَ أحدِ الجدرانِ، وَسدّدُوا بنادقهم إِلَى جباهِهِمْ وَصَرخوا فيهم:

–عليكمْ أنْ تُؤْمِنوا وَتُصدّقوا أنّنا نريدُ نشرَ الدّيموقراطيّةِ وَالحرّيَّةِ بينَكمْ، وَإلاَّ ثقبْنَا رؤوسَكمْ جميعاً بِالرّصاصِ.

حِينَ لم يُجبْ منَ المواطنينَ أحدٌ، نفّذَ الجنودُ تهديدَهُمْ، وَمَضَوْا يَقتادون مُواطنينَ آخَرين، وَبُكلّ حرّيَّةٍ وَديموقراطيّةٍ يُخيّرونهم بينَ (الدّيموقراطيّةِ وَالحرّيَّةِ) منْ جهةٍ، وَبينَ أنْ يُنفّذوا تهديدَهُمْ فيهمْ منْ جهةٍ مُقابلةٍ.

*

(59)– مُحَاكَمَةٌ

الجلسةُ الأولى:

القاضي: لماذا خالفْتَ هذا القانونَ الّذي نعملُ بهِ؟.

المتّهمُ: ما هذا القانونُ الّذي تُحاكمُني بِمُوجبِهِ؟ أينَ وُضِعَ؟.

القاضي: نعملُ الآنَ بقانونٍ وُضِعَ لنا فِي الخَارجِ.

المتّهمُ: أنا لا أُطيعُ إلاَّ قانُوناً وُضعَ هنا .. في الدّاخلِ.

القاضي: أنتَ حملْتَ السّلاحَ وَقاتلْتَ، وَاقتَدى بِكَ آخرونَ، القانونُ بينَ يديَّ يحكمُ عليْكَ بالخيانةِ العُظمى.

المتّهمُ: هذا يُؤَكّدُ أنّي بريءٌ.

القاضي: رُفعَتِ الجلسةُ.

الجلسةُ الثّانيةُ:

مُنادي المحكمةِ: القاضي وَالمتّهمُ لنْ يحضرا أبداً، تَعَاوَنا وَخَطّطا وَنَفّذا معاً عمليّةً قتاليّةً فدائيّةً ضدَّ واضعي القانونِ الخارجيِّ.

*

(60)–الغَيْمَةُ وَالفَلاّحُ

مَرّتْ غيمةٌ فوقَ فلاّحٍ يحفرُ أرضَهُ وَيُعْنى بِغراسِهِ، البردُ قارسٌ وَالرّياحُ تعصفُ بِهِ، وَهوَ يُمسكُ فأسَهُ بِيدينِ خشنتينِ مُشقّقتينِ، وَقدْ تجمّدَتْ أصابعُهُ المقرورةُ، حزنَتِ الغيمةُ لِشقاءِ الفلاّحِ، وَانحدرَتْ دموعُهَا غزيرةً عليْهِ وَعلى حقلِهِ، فَاستبشرَ وَرفعَ رأسَهُ يتأمّلُ الغيمةَ شاكراً، وَمِنْ يومِهَا نَرى الفلاّحينَ كلّما انهمرَ المطرُ يرفعونَ رؤوسَهُمْ إِلَى السّماءِ بامتنانٍ.

*

(61)–وَاقِعَةُ الجِسْرِ

على الجسرِ .. التقى (زيدٌ) بـ (عمرٍو)، وَدارَتْ بينَهُما معركةٌ داميةٌ، صارَتْ بعدَ ذلكَ تاريخاً يُؤرّخُ بِهِ، فقدْ بلغَتْ منَ الهَوْلِ درجةً جعلَتِ الطّرفينِ المقْتَتِلَيْنِ يحتفلانِ كلَّ عامٍ في يومٍ واحدٍ، بِذكرى انتصارِ كُلٍّ منْهُما عَلَى الآخرِ فيها.

*

(62)–الحَقِيقَةُ وَالخَيالُ

يروقُ لَهُ أنْ يقفَ طويلاً أمامَ وَاجهةِ محلّ بيعِ أسماكِ الزّينةِ، يتأمّلُ الأسماكَ سابحةً في حوضِهَا الكبيرِ الملوّنِ، فَينسى همومَهُ وَمشاغلَهُ، وَلأنَّ تكلفةَ الحوضِ الزّجاجيّ باهظةٌ، اكتفى في بيتِهِ بِأَنْ يرى شاشةَ الحَاسُوبِ (الكمبيوتر) تتحوّلُ إِلَى حوضِ سمكٍ جميلٍ، تتحرّكُ فيهِ الأسماكُ تماماً كما تفعلُ في الطّبيعةِ.

وَلكنّهُ كثيراً ما يعاوِدُهُ حنينٌ صادقٌ .. فَالصّورةُ لا تَهبُهُ السَّعادةُ الَّتي يهبُهَا الحوضُ الحقيقيُّ.

*

(63)–في القَلْبِ

شابانِ يسيرانِ في أحدِ شوارعِ المدينةِ، ملأَ الأوَّلُ قلبَهُ حبّاً وَنقاءً، وَجعلَ يُقلّبُ نظرَهُ فيما حولَهُ بِارتياحٍ، قالَ:

–سبحانَ اللهِ مَا أجملَ خَلْقَهُ، انظرْ.. إنّي أرى الجمالَ يبتسمُ جليّاً في كلّ شيءٍ.

رفعَ الثَّاني هامَةً مُثقلةً بِالتّعاسةِ، وَقلّبَ نظرَهُ فيما حولَهُ فلمْ يرَ في كلّ ما أبصرَهُ شيئاً واحداً جميلاً.

قالَ: أَعِرْني بصرَكَ لأرى ما تراهُ.

قالَ صاحبُهُ: لنْ أُعيركَ بصري، بلْ سأعيرُكَ ما في قلبي.

أُفعمَتْ نفسُ الشّابِ نوراً وَحبّاً وَطيبةً، وَنظرَ حولَهُ، فلمْ يقعْ نظرُهُ إلاَّ عَلَى ثغورٍ تبتسمُ، وَجِباهٍ تَسْمو، وَعصافيرَ تغرّدُ، وَفضاءٍ تسبحُ في أرجائِهِ غيومٌ تحملُ الخيرَ لِلجميعِ.

ابتسمَ ابتسامةً عريضةً، وَبعدَ حينٍ .. أحسَّ بعضلاتِ وجهِهِ تؤلمهُ.. فعادَ إِلَى العبوسِ منْ جديدٍ.

*

(64)–اللُّصُوصُ المقنَّعونَ

أَثْنى في سرِّهِ عَلَى الشّرطةِ الَّتي أَلقَتِ القبضَ عَلَى سارقٍ، وَراحَ يتابعُ مُتَشفّياً صُوَرَ المحاكمةِ، كانَ السّارقُ مُنَكّسَ الرّأسِ، وَلحيتُهُ طويلةٌ شعثاءُ، لم يستمعْ حينَها لِكُلِّ الأعذارِ ((الواهيةِ)) الَّتي ساقَهَا السّارقُ لِلمحكمةِ، وَقالَ:

–لو كانَ الأمرُ لي لَشنقْتُ هذا وَأمثالَهُ في السّاحةِ العامّةِ ظُهراً.

وَلما انتُزِعَ منهُ ثُلُثُ مُرَتّبِهِ الشّهريِّ لِقاءَ ليلةٍ واحدةٍ باتَهَا ابنُهُ الصّغيرُ المريضُ في أحدِ أَسِرّةِ المستشفى، تَذكّرَ صاحبَ اللّحيةِ الشّعثاءِ، وَالرّأسِ المنكّسِ، وَتساءلَ:

–لأيِّ ذنبٍ قُدّمَ ذاكَ المسكينُ لِلمحاكمةِ يومَهَا؟.

*

(65)–اسْتِقْبالٌ

بعدَ ربعِ قرنٍ منَ الضَّياعِ في متاهاتِ الاغترابِ، عادَ إِلَى الوطنِ مُتأبّطاً ذراعَ أشواقِهِ، وَمصطحباً زوجتَهُ الأعجميّةَ وَأبناءَهُ، لِيريَهُمُ الأرضَ الَّتي أنبتَتْ يوماً

أَشجارَ حضارةٍ لا يزالُ الغربُ حتّى الآنَ ينعمُ بِبعضِ ثمارِهَا، وَلِيعرّفَهُمْ عَلَى أمّةٍ أنجبَتْ يوماً رجالاً أناروا بِعقولِهِمْ حياةَ أجيالٍ مَتعاقبةٍ منَ الأعاجمِ، لِيروْا وطناً طالما فَخرَ بانتمائِهِ إليْهِ.

وَفي أوّلِ نقطةٍ حدوديّةٍ في وطنِهِ سُمِحَ لهُ أنْ يُبلّغَ صَحْبَهُ أنّهُ سيتخلّفُ عنهمْ ساعاتٍ لـ (ضرورةِ التّحقيقِ) ..

وَلما أُخليَ سبيلُهُ بعدَ أربعةِ أيّامٍ، سألَتْهُ زوجتُهُ:

–هذا اعتقالٌ وَليسَ استجواباً، ماذا قالَتْ صحفُ وطنِكَ عنِ اعتقالِكَ هذا؟.

–صحفُنَا مشغولةٌ عنّي بِتعدادِ منجزاتِنَا الجليلةِ.

مضَتِ الزوجةُ تسألُ:

–ماذا فعلَ (سيناتورُ) [3] مدينتِكَ منْ أجلِكَ؟.

–(سيناتورُنا) مُتفرّغٌ للتّصفيقِ لِلخطبِ الّتي تُلقى في مجلسِهِ.

قالَتْ لَهُ زوجتُهُ: أنا عائدةٌ بِأبنائي إِلَى وطني، فلا أريدُ لهمْ أنْ يعيشُوا حيثُ لا قيمةَ لحرّيّةِ الإنسانِ، فَإِنْ كنْتَ تُؤْمِنُ بما أقولُ .. فَالحقْ بنا.

*

(66)–الأَصْلُ وَالنُّسْخَةُ

نشرَ أحدُهُمْ في الصّحيفةِ اليوميّةِ الإعلانَ التّالي:

3-السّيناتور: عضو (مجلس الشّعب) أو: عضو (مجلس الأمّة)، ممثّل الشعبِ في مجلس الشّورى.

-مطلوبُ كلبُ حراسةٍ.

صبيحةَ اليومِ التَّالي وَجَدَ أمامَ بابِ دارِهِ مئاتِ الكلابِ، انتقى واحداً منْهَا طويلَ اللّسانِ، سريعَ حركةِ الذَّنبِ، أمّا الكلابُ الباقيةُ فقدْ تطوّعَتْ لخدمتِهِ بِالمجّانِ، فَكانَتْ ترافقُ موكبَهُ في حِلّهِ وَتَرْحالِهِ.

وَلكنْ بعدَ حينٍ صارَ النّاسُ إذا تكلّمُوا معَهُ لا يسمعونَ إلاّ أصواتَ مُرافقيهِ.

*

(67)-انْتِظارُ الشّمْسِ

كانَتِ الرّعيّةُ طائفتينِ، شباباً في طوْرِ النَّشْأَةِ، وَشيوخاً في طورِ التّهدُّمِ؛ وَكانَ الشّبابُ طائفتينِ: طائفةٍ دائماً تقولُ: نعمْ. وَطائفةٍ دائماً تقولُ: لا.

وَكانَ الشِّيوخُ دائماً يكتفونَ بِالتّأمّلِ وَالتّفكيرِ.

وَلما تعالى الضّجيجُ فِي الشّارعِ تَذمّرَ الملكُ وَقَلِقَ، فَأصدرَ مرسوماً مَلكيّاً يقضي بِإعدامِ كلِّ الّذينَ يقولونَ: نعمْ. وَكلِّ الّذينَ يقولونَ: لا.

لم يبقَ إلاّ الشّيوخُ يتأمّلونَ وَيفكّرونَ، وَلما طالَ عليهِمْ ذلكَ، رَأَوْا أنّهُ يجبُ إعدامُ الملكِ.

وَلأنّهُمْ شيوخٌ ضعفاءُ جلسُوا ينتظرونَ بِصبرٍ .. أنْ ينشأَ جيلٌ شابٌّ قادرٌ أنْ يقولَ: نعمْ، وَقادرٌ أنْ يقولَ: لا.

*

(68)-النّافِذَةُ وَالنَّسِيمُ

شَعَرَ بِصدرِهِ يضيقُ، فتحَ النّافذةَ، فَانسابَتْ نسمةٌ لطيفةٌ رقيقةٌ إِلَى الغرفةِ، وَهَمَسَتْ:

-آهٍ .. ما هذا؟ رائحةُ غرفتِكَ نَتِنَةٌ.

تجوّلَتِ النّسمةُ في فضاءِ الغرفةِ تدفعُ الهواءَ المشبَعَ بِالعفونةِ وَتطردُهُ منَ النّافذةِ، وَلما صَفا جَوُّ الغرفةِ، تنفَّسَتِ النّسمةُ الصُّعَدَاءَ وَسألَتْ مُتعجّبةً:

-غريبٌ سلوكُ بعضِ النّاسِ، لماذا يَكْتَنِزونَ الهواءَ المسمَّمَ، وَيُغلقونَ نوافذَهُمْ في وجهِ النّسيمِ النَّظيفِ؟.

وَلما لمْ يَرُدَّ الرّجلُ عنْ سؤالِ النّسمةِ قالَتْ في سِرِّهَا:

-لا أدري ..لَعلّهُ أَصَمُّ.

-وَجعلَتْ تطاردُ أنفاسَهُ وَترمي بِهَا خارجاً.

*

(69)-العِيدُ في بَيْتِنا.

وَقَفَ (العيدُ) أمامَ دارٍ فقيرةٍ، وَدَقَّ الجرسَ بِإصرارٍ وَعنادٍ، فتحَ الرّجلُ البابَ وَانفجرَ صارخاً:

-لا نريدُ أعياداً .. اغربْ عنّا، اذهبِ .. اذهبْ إليهمْ، .. ستجدُهُمْ يُرحبّونَ بكَ.

دلفَ العيدُ دَارَ هذا الفقيرِ، وَوقفَ في العَتَبَةِ وَنادى:

-أينَ أنتمْ؟ ... إليَّ أيُّهَا الصّغارُ.

سمعَ الصّغارُ نداءَ (العيدِ) فَسَعَوْا إليهِ مُلَبّينَ، وَلم تَحُلْ أسماهُمْ وَجُيُوبُهُمُ الخاويةُ دونَ أنْ يرقصوا معَهُ رقصةَ (العيدِ) المرحةَ.

*

(70)–في الظَّلامُ

أبدعَ أحدُ العباقرةِ مِصباحاً عظيماً، حملَهُ وَأسرعَ بِهِ إِلَى الملكِ يُمَنّي نفسَهُ بِجائزةٍ سَنِيّةٍ، وَحتّى يجرّبَ المبدعُ اختراعَهُ، دخلَ معَ مُرافقيهِ غرفةً وَأغلقَ بابَهَا وَنوافذَهَا، وَأَسْدَلَ ستائرَها، وَسدَّ كُلَّ ثقبٍ يتسرّبُ النّورَ منْ خلالِهِ، وَأشعلَ مَصباحَهُ العظيمَ، فشعَّ نورُهُ ساطعاً، انبهرَتْ عيونُ الحاضرينَ، وَعَلَتْ صيحاتُ الإعجابِ، أحدُ الحكماءِ وَحْدَهُ قَطَّبَ وَسَأَلَ:

–قل لي أيُّهَا الرّجلُ! ما فائدةُ اختراعٍ لا نرى فضلَهُ إلاّ إذا سَدَدْنَا عَلَى أنفسِنَا منافذَ النّورِ؟....أَقْتَرِحُ عَلَى جلالةِ الملكِ أنْ يجلدَ هذا العالِمَ مائةَ جلدةٍ.

فَأطرقَ الملكُ يفكّرُ في اقتراحِ الحكيمِ بِعمقٍ.

*

(71)–تَنْفِيسٌ

بحثَ عنْ مكانٍ خالٍ، بعيدٍ عنِ الأبصارِ وَالأسماعِ، وضعَ كفّيْهِ جانبيْ وجههِ، وَأَعْوَلَ بِكُلِّ ما أُوتي منْ قوّةٍ:

–يسقطُ الملكُ، وَلعنةُ اللهِ عَلَى رئيسِ الوزراءِ، وَجميعِ الوُزراءِ، إِلَى الجحيمِ يا مجلسَ الشّورى، الموتُ لَكَ يا مديرَ التّموينِ، أحتقرُكُمْ يا شرطةَ مخفرِ حَيِّنَا،

قُبْحاً لكَ يا مديرَ السّجنِ، إنّي أبصقُ في وجهِكَ يا مالكَ الشّقّةِ الَّتي أستأجرُهَا، لا أهلاً ولا سهلاً بِكِ يا حماتي.. اسمعي يا زوجتي: قريباً جداً سأتزوجُ منِ امرأةٍ ثانيةٍ...

حينَ فرغَ جامُ غضبِهِ، اجتاحَتْهُ راحةٌ طاغيةٌ، وَهوَ يسمعُ صدى صرخاتِهِ تتجاوبُ بينَ فِجاجِ الجبالِ، قَصَدَ بيتَهُ طروباً، وَلما أخذَ رجالٌ قبيحونَ بِتلابيبِهِ قالَ لهمْ بِاحتقارٍ:

– ماعدْتُ أخافُ شيئاً، ما كنْتُ أخافُ قَوْلَهُ .. قُلْتُهُ، فَافعلوا ما يحلو لكم.

وَسارَ معَهمْ مرفوعَ الرّأسِ.

*

(72)– مِسْمَارُ جُحَا

وَلَجَ المديرُ مكتبَهُ مُتذمّراً منْ مرؤوسيهِ وَمسؤوليّاتِهِ، ألقى بجسدِهِ عَلَى المقعدِ، فوخزَهُ (مسمارٌ) في مؤخّرتِهِ وَثُقِبَ سَرَاويلُهُ، سَخِطَ عَلَى المقعدِ وَعلى المسمارِ، أودعَ المقعدَ إحدى الزّوايا، وَأَتَى بمقعدٍ غيرِهِ، وَأمضى يومَهُ متكاسلاً، لم يغادرْ مكتبَهُ، فَكيفَ يقابلُ الآخرينَ بِسراويلَ مثقوبٍ؟.

في طريقِ عودتِهِ إِلَى بيتِهِ فكّرَ:

–خسرْتُ سَراويلي، لَكنّي نعمْتُ بَالرّاحةِ يوماً، فهلْ أُثْني عَلَى ذاكَ المِسمارِ أمْ أَنْقِمُ عليْهِ؟.

وَلما شبَّ في أحدِ أجنحةِ المعملِ حريقٌ أتى عَلَى الآلةِ وَالبضاعةِ وَالعاملِ، همسَ المديرُ في أُذُنِ المحقّقِ:

-يومَهَا لم أغادرِ المكتبَ، فقدْ ثَقَبَ مسمارٌ سَراويلي منْ خلفٍ..

ابتسمَ المحقّقُ وَبرّأَ المديرَ، وَحينَ همَّ المستخدَمُ بِأنْ يرفعَ المقعدَ ذا المسمارِلِم يعرفِ السّرّ وراءَ حرصِ المديرِ عَلَى إبقاءِ المقعدِ عندَهُ.

*

(73)–حِبْرٌ عَلَى وَرَقٍ

في المدرسةِ، أنصتَ الصّغيرُ بِشغفٍ وَنشوةٍ لمعلّمِهِ وَهوَ يعدّدُ فضلَ رَجُلِ الشّرطةِ:

-الشّرطيُّ يا أبنائي ابنُ الشّعبِ، يسهرُ عَلَى راحتِهِ، يحميهِ منَ اللّصوصِ وَالغشّاشينَ وَالمخادعينَ وَالمخرّبينَ، وَيوفّرُ لَهُ الأمنَ، وَيصونُ لَهُ حقَّهُ، وَينجدُهُ في النّكباتِ .. بِاختصارٍ يا أبنائي: الشّرطةُ في خدمةِ الشّعبِ.

عزمَ الصّغيرُ عَلَى حبِّ رَجُلِ الشّرطةِ وَاحترامِهِ، وَلازَمَهُ عزمُهُ هذا إِلَى أنْ رافقَ يوماً أَبَاهُ المعْتَدَى عليْهِ إِلَى مخفرِ الشّرطةِ.

ثمّ .. في طريقِهِمَا عائدَيْنِ، كانَ الأبُ واجماً، فَسأَلَهُ ابنُهُ: بابا ... هلْ كلُّ ما قالَهُ لنا مَعلّمُنا في المدرسةِ كانَ خطأً، كخطئِهِ حينَ وصفَ لنا رَجُلَ الشّرطةِ؟!

*

(74)–العِطْرُ وَالزُّيُوتُ المعْدِنِيّةُ

وضعَ قليلاً منْهُ دُبُر أُذُنَيْهِ، وَتحتَ ياقةِ قميصِهِ، وَوضعَ كثيراً منْهُ تحتَ إِبْطَيْهِ، وَدهنَ بِهِ ظاهرَ ثيابِهِ، حتّى فاحَ عطرُهُ باذخاً مُترفاً، إنّهُ يَثِقُ بنوعِهِ، فقدْ أثنى عليهِ العديدونَ ممّنْ يُعْنَوْنَ بِالعطورِ، وَيُميّزونَ طَيّبَهُ منْ رَدِيئِهِ، لكنّهُ لما قعدَ

قربَ أحدِ الّذينَ اعتادُوا التّعاملَ بِشحومِ الآلاتِ وَالزّيوتِ المعدِنيّةِ المحروقةِ ..
أَبْدَى هذا ضِيقَهُ بِعطرِ الرّجلِ وَذمّهُ، وَشَكَا منْهُ مُبتعداً:
-لقدْ صدّعَ رَأسي.

*

(75)-الكِلابُ

قالَ لأستاذِهِ: كثيراً ما أَلْتقي يا أستاذُ بِأناسٍ يتعمّدونَ إيذائي بسلوكِهِمْ أوْ أقوالِهِمْ، ماذا أفعلُ إزاءَهُمْ؟.

الأستاذُ: لا تفعلْ شيئاً يا بنيّ، أَرَأَيْتَ لوْ نبحَكَ كلبٌ أوْ عضَّكَ، ماذا كنْتَ فاعلاً معَهُ؟.

ابتسمَ الصّغيرُ وَقالَ: ماذا أفعلُ؟ أتجاهلُهُ وَأتابعُ سيري؟.

قالَ الأستاذُ: هذا خيرُ ما تفعلُهُ.

فَصارَ الصّغيرُ كلّما آذاهُ أحدٌ بيدِهِ أوْ لسانِهِ، ينظرُ إليهِ ثُمَّ يبتسمُ وَيمضي في شأنِهِ مُعْرِضاً عَنْهُ، فَيتساءلُ الآخرُ مُرتبكاً: ما الَّذي أضحكَهُ؟!.

*

(76)-الرُّجوعُ إِلَيْهِ

كانَتْ قطرةُ ماءٍ في أحضانِ البحرِ، تلهو وَتلعبُ في سعادةٍ حقيقيّةٍ، ترتفعُ مع الموْجَةِ حيثُ تُشرفُ عَلَى الجُزُرِ البعيدةِ، وَترى رمالَ السّاحلِ، وَتنحدرُ مُتزحلقةً عَلَى سفحِ الموجةِ، فتعتريها الغِبْطةُ، وَهي ترى أنَّها صارَتْ قريبةً منْ قاعِ البحرِ.

وَفي نهارٍ صيفيٍّ حارٍّ، راودَتْها أشعّةُ الشّمسِ عنْ نفسِهَا، وَمنّتْهَا بِالدّفءِ وَالحبِّ وَالعيشِ في الأعلى إنْ هيَ غادرَتِ البحرَ وَارتقَتْ إلَى الشّمسِ، تحيّنَتْ قطرةُ الماءِ فرصةً انفصلَتْ فيها عَنِ البحرِ، وَتعلّقَتْ بِأحدِ أشعّةِ الشَّمسِ، وَجعلَتْ تَصْعَدُ وَتصعدُ..، وَسرَّهَا أنْ تُشرفَ عَلَى البحرِ منْ علٍ، لكنَّ الشّمسَ حوّلَتْهَا مخلوقاً آخرَ جديداً مُتفرّقَ الأجزاءِ، كَالدّخانِ الأبيضِ، فاعترتْهَا موجةُ بردٍ، ارتعدَتْ مِنْها فرائصُهَا خوفاً وَندماً، وَطفقَتْ قطرةُ المطرِ تلمُّ أجزاءَهَا وَتبكي، حتّى عادَتْ كما كانَتْ، فسقطَتْ في أحضانِ البحرِ، سعيدةً مرحةً تلهو معَ أمواجِهِ، لكنّها بقيَتْ بينَ الحينِ وَالحينِ تَتُوقُ إلَى أنْ تُشرِفَ عَلَى البحرِ منْ علٍ.

*

(77)- المخْدُوعُ

في مصنعِ (جمعِ النُّطَفِ)، لِتلقيحِ البقرِ صناعيّاً، ابتدَعُوا دُميةً عَلَى شكلِ بقرةٍ حسناءَ، فَكانَ الثّورُ يُقْبِلُ بِاندفاعٍ وَيَنْزُو علَيْها بحماسةٍ، ثُمَّ يقودُهُ المشرفُ إلَى زريبتِهِ حيثُ يطعمونَهُ أطايبَ الطّعامِ، وَيعاملونَهُ بَأفضلِ معاملةٍ يَحظى بها ثَوْرٌ مُدلّلٌ، ثُمَّ يأتونَ بِسواهُ لِيؤدّيَ دورَهُ في البقرةِ الدّميةِ، وَفي أحدِ الأيّامَ فُوجئَ العاملونَ في المصنعِ بِخَيْرِ ثورٍ عندَهُمْ في حالٍ أذهلَتْهُمْ، وَأخفقَتْ كلُّ محاولاتِهِمْ في كشفِ عِلّتِهَا.

لم يدرُوا أنَّهُ بعدَ آخرِ مرّةٍ أتى بها هذا الثّورُ بَقَرَتَهُ، وَهُوَ في طريقِ العودةِ إِلَى زريبتِهِ، استرقَ نظرةً إِلَى عروسِهِ الحبيبةِ، فكشفَ في التّوِّ أَنَّها ليسَتْ أكثرَ منْ .. دُميةٍ.. وَأنّهُ كانَ طيلةَ حياتِهِ الماضيةِ، ضحيّةَ ابتزازٍ قذرةٍ ... فانتحرَ.

*

(78)– مَصْلَحَةٌ

كانَتْ طفلةً تلهو في الشّارعِ معَ لِدَاتها، وَكانَ أَبوها يذهبُ في سبيلِهِ يجوسُ في السّوقِ وَيعودُ لا يعبأُ بهِ أحدٌ، وَلما استوَتْ صبيّةً فائقةَ الجمالِ، وَلم يعدْ أهلُ الحيِّ يروْنَها إلاّ لِمَاماً، حَظِيَ أبوها منْ كثيرينَ بِالتّقديرِ وَالإجلالِ، فلمّا تزوّجَتْ وَلزمَتْ بيتَ زوجِهَا، عادَ أبوها كما كانَ ... لا يعبأُ بِهِ أحدٌ.

*

(79)– المتَقَلّبُونَ

قالَ عصفورٌ لأحدِ الأطفالِ: أنا أحبُّكَ كثيراً.

سألَهُ الطّفلُ: وَهَلْ ستبقى تُحبّني طيلةَ حياتي؟.

أجابَ العصفورُ: بعدَ بِضْعِ سنينَ سأتوقّفُ عنْ حُبّكَ، وَقدْ أَبْدأُ بعدَهَا بِكُرْهِكَ.

قالَ الطِّفلُ: لماذا أنتَ مُتبدّلٌ مُتقلّبٌ مَتناقضٌ؟.

قالَ العصفورُ: لسْتُ أنا، هذا أنتمْ معشرَ البَشَرِ، حينَ تكونونَ صغاراً ضِعافاً تَبْدونَ لَطيفينَ أبرياءَ، وَلكنْ .. ما إنْ تَغْدوا كِباراً أقوياءَ حتّى تَصِيروا شيئاً مُغَايراً.

استفسرَ الطِّفلُ: كيفَ ذلِكَ؟.

قالَ العصفورُ: اسألْ أجدادَكَ عنّا، فَسيخبرونَكَ بما أخبرَني أجدادي عنْكُمْ.

في المساءِ كانَ وجهُ الأبِ يزهو بِالنّصرِ وَهُوَ يقولُ لابنِهِ الصّغيرِ:

–نصيدُ العصافيرَ – يا صغيري – بِطُرُقٍ شتّى.. بِالفخِّ وَبِالشّرَكِ وَبالرّصاصِ..

ثُمَّ نذبَحُها وَنُمَلِّحُهَا .. ثُمَّ نُصْليها ناراً، وَ .. . نَأْكُلُهَا.

*

(80)–السِّرُّ

في الحديقةِ العامّةِ أكبَّ عَلَى زهرةٍ تشعشعُ نضرةً، وَملأَ صدرَهُ عميقاً بِأريجِهَا، فهمسَتِ الزّهرةُ في أُذُنِهِ:

–أَبْقِ ما سأقولُهُ لكَ سرّاً بيني وَبينَكَ: (أنا أحبُّكَ).

همسَ: وَأنا أُحِبّكِ أَيضاً.

قالَتْ: لكنّكَ لم تأتِ إليَّ إلاّ بعدَ أنْ ناديْتُكَ.

قالَ: لم أسمعْ نداءَكِ، ناداني إليكِ إعجابي.

–نعمْ ناديْتُكَ..أَمَا شَمَمْتَ عِطري؟ ذاكَ ندائي إيّاكَ.

بَقِيا يتناجيانِ ساعةً، وَعَدَها بزياراتٍ متتاليةٍ، وَوَعدَتْهُ بِالوصلِ الدّائمِ، ثُمَّ وَدّعَهَا نشوانَ سعيداً، وَرَفّتْ أَورَاقُها لَهُ مُودّعةً.

كانَ العابرونَ يكتفونَ بِإلقاءِ نظرةٍ عَلَى الزّهرةِ، وَيمضونَ في سبيلِهِمْ، تعجّبَ منْ ذلكَ، ثُمَّ سَرَّهُ أنَّهُ الوحيدُ الَّذي يسمعُ نداءَهَا .. وَيَفْقَهُهُ.

*

(81)–المدِيرُ وَمُوَظّفُوهُ

سلَّ المديرُ خِنْجَرَهُ، وَجعلَ يطعنُ مُوَظّفِيهِ بِحقدٍ وَكرهٍ .. طعنَ بعضَهُمْ في قلوبِهِمْ، وَآخرينَ في رؤُوسِهِمْ، وَآخرينَ في عيونِهِمْ، أَوَ أَفْواهِهِمْ، أَوْ آذانِهِمْ.

وَلما شَبَّ الحريقُ في مُؤسّستِهِ .. صَرَخَ المديرُ مُسْتنجداً:

–إِليَّ أيُّها الموَظّفونَ .. أَنجدُوني أَيَّهَا الموَظّفونَ.

لم يَتَلَقَّ أيّةَ استجابةٍ، كَشَفَ تَوّاً أَنَّهُ ما كانَ مُديراً عَلَى أَحَدٍ، وَأَتى الحريقُ عَلَى كلِّ شيءٍ.

*

(82)–لافِتَاتُ الانِتخابِ وَالبَرْدُ

وقفَ مَقْروراً تعصفُ بِهِ ريحُ الشَّمَالِ المحمّلةُ بِنثيرِ الثّلجِ، وَسكاكينُ الجوعِ تطعنُ معدتَهُ بِلا رحمةٍ، وَالماءُ البارِدُ يَتسرّبُ منَ الحذاءِ المثقوبِ إِلَى قدميْهِ المخدّرتينِ، وَلولا المِعْطَفُ الطّويلُ القذرُ الَّذي يلفُّ بَدَنَهُ، لَبَدا عُرْيُهُ، وَبعَيْنَيْنِ كَلِيلَتَينِ أَطْفأَ الضّعفُ بريقَهُمَا، طَفِقَ يقرأُ اللاّفتاتِ القُماشيّةَ الملوّنةَ الَّتي تُغطّي معظمَ مِسَاحاتِ السّاحةِ الكُبْرى تعبثُ بِهَا الرّيحُ:

–انتَخِبُوا (الدّكتورَ فلاناً) رائدَكُمْ إِلَى الحقِّ وَالعدالةِ...

–(المحامي فُلانٌ) صوتُكُمْ المدَوّي عندَ الحكومةِ لِتحقيقِ مكاسبَ جديدةٍ..

–لمزيدٍ منَ الرّفاهِ امنحُوا أصواتَكُمْ الغاليةَ لابنِ الشّعبِ (فلانٍ).

–أَيُّهَا المواطنُ ! صوتُكَ أمانةٌ، فلا تعطِ الأمانةَ إلاَّ لِمُستحقّهَا.

تحرّكَتْ شَفَتَاهُ المزْرَقّتَانِ، وَتَمْتَمَ بِصعوبةٍ:

–صار صوتي مُهمّاً جدّاً، يُساوي الآلافَ .. وَأنا عَلَى ما أَنا .. لا أُساوي شيئاً.

*

(83)–المَدِينَةُ الفَاضِلَةُ

أرهقَتْهُ مُعاملةُ النّاسِ، وَساعاتُ الكَدْحِ الطّويلةُ، فَتمدّدَ عشيّةً عَلَى مقعدٍ طويلٍ في شرفَةِ منزلِهِ يستريحُ، فَهبطَ عليْهِ منَ السّماءِ مَلَكٌ أخذَ بيدِهِ يَجوبُ بِهِ المدينةَ، وَقالَ لَهُ:

–انظرْ إِلَى مدينتِكَ كيفَ صارَتْ، النّاسُ أَمِينونَ، لوْ وجدَ أحدُهُمْ شيئاً عَلَى الأرضِ ما تناولَهُ إلاّ لِيعيدَهُ إِلَى صاحبِهِ، نِظَاميّونَ، يُؤْثِرونَ بعضَهُمْ عَلَى أنفسِهِمْ، وَالتّجّارُ لا يَغِشّونَ وَلا يَسْرِقونَ الزَّبائنَ، لا تجدُ أحداً ينهشُ لحمَ أخيهِ مَيْتاً، لا أحدَ يكذبُ، وَلا أحدَ يخدعُ وَلا أحدَ يَرْتَشي .. أَسَمِعْتَ بِالمدينةِ الفَاضلةِ؟ صارَتْ مدينتُكَ هيَ المدينةَ الفاضلةَ.

تنفّسَ بِارتياحٍ: أينَ كنْتِ أيّتُها الفاضلةُ، فيمَا مَضَى منْ عُمُري؟.

وَلما هبّتْ عليْهِ نسائمُ اللَّيلِ الباردةُ، تَلفّعَ بِثوبِهِ جيّداً، وَدلفَ إِلَى غرفةِ نومِهِ، وَفي اليومِ التّالي حينَ حدّثَ معارفَهُ عمّا حدثَ معَهُ، أكّدَ لهمْ أنّهُ لم يكنْ يحلُمُ، وَأنَّهُ دخلَ المدينةَ الفاضلةَ فعلاً، وَوطّنَ نفسَهُ عَلَى أَنْ يَبْقى ينظرُ إِلَى السّماءِ، لَعلَّ مَلَكَ المدينةِ الفاضلةِ يهبطُ عليْهِ ثانيةً.

*

(84)– جُوعٌ

طفلٌ وَسِيمٌ لطيفٌ كانَ يقرأُ كتاباً بِشغفٍ وَمَرَحٍ، وَلماَّ جاعَ قالَ لِلكتابِ:
-أنا جائعٌ، أَعْطني رغيفَ خبزٍ، أوْ قطعةَ شوكولاتة.
استغربَ الكتابُ وَقالَ: أنا لا أُطْعِمُ أحداً.
نَحّى الطِّفلُ الكتابَ جانباً، وَراحَ يركضُ وَيُنادي:
-أنا جائعٌ، أُريدُ طعاماً..
سمعَ الشرطيُّ صوتاً يُطالبُ بِشيءٍ، فَسدّدَ بندقيّتَهُ إِلَى صاحبِ الصّوْتِ ... وَأطلقَ النّارَ.
رأى الكتابُ وَجْهَ الطِّفلِ الجميلِ يَتضرّجُ دماً، فَغضبَ جِدّاً حتّى صارَتْ أوراقُهُ البِيضُ حمراءَ كالدّمِ، أثارَتْ حمرتُهُ فُضولَ الصّغارِ، فَأقبلَ كثيرٌ منْهُمْ عَلَى قراءَتِهِ بِنَهَمٍ.

*

(85)- نَجَحَتِ العَمَلِيّةُ

نجَحَ الزَّوْجُ أَخِيراً فِي الاقْتِرَاضِ مِنْ فُلانٍ وَفُلانٍ، بَعْدَ أَنْ رَهَنَ دَارَهُ، وَأَسْرَعَ إِلَى المشْفَى لِيُسَدِّدَ (فَاتُورَةَ) وِلادَةِ زَوْجِهِ البِكْرِ، دَفَعَ المبْلَغَ إِلَى المحَاسِبِ، وَهُرِعَ إِلَى غُرْفَةِ الوِلادَةِ، فَاسْتَقْبَلَهُ الطَّبِيبُ المَوَلِّدُ بِابْتِسَامَةٍ عَرِيضَةٍ، وَبَادَرَهُ بِالسُّؤَالِ:
-هَلْ دَفَعْتَ الحِسَابَ؟.
-نَعَمْ يَا(دُكْتُور) بِالتَّمَامِ، وَلَكِنْ ... مَا أَخْبَارُ العَمَلِيَّةِ؟.
-اطْمَئِنَّ، العَمَلِيَّةُ نَجَحَتْ بِشَكْلٍ مُمْتَازٍ، لَكِنَّهَا كَلَّفَتْنَا الكَثِيرَ مِنَ التَّضْحِيَاتِ.
-الكَثِيرَ مِنَ التَّضْحِيَاتِ؟. كَمْ كَلَّفَتْ؟!.

–حَتَّى تَنْجَحَ العَمَلِيَّةُ اضطُرِرْنا لِلتّضْحيةِ بِالجَنِينِ وَبِالأُمِّ مَعاً.

*

(86)– حُقُوقُ الجَارِ

منذُ سَكَنْتُ هذا الحيَّ قبلَ تسعةَ عشرَ عاماً وَإلى الآنَ، وَقدِ انقضى العَقْدُ الأوّلُ منَ القرنِ الحادي وَالعِشرينَ، وَأنا أحملُ قَمامةَ منزلي كلَّ يومٍ وَأسيرُ بها عَلَى مَرْأى خلقِ الله جميعاً إِلَى (الحاويةِ)، وَأنا عَلَى ثقةٍ أنَّ جيراني سَيَحْذُونَ حَذْوِي يَوْماً ما، وَلا يَضعونَ قُمَامةَ منازِلِهِمْ تحتَ نافذةِ منزلي، وَبعدَ تسعةَ عشرَ عاماً بِالتّمامِ وَالكمالِ مِنَ الإخفاقِ الذّريعِ، أحببْتُ أنْ أنتقلَ إِلَى مرحلةٍ أُخرى أكثرَ فاعليّةً، وهيَ أنْ أحملَ كلَّ يومٍ قُمامةَ منزلي وَقُمامةَ الجيرانِ مَعاً إِلَى الحاويةِ، وَهأنَذا منذُ نصفِ سنةٍ أَغْدُو بِها إِلَى (الحاويةِ) وَأَرُوحُ، وَأنا عَلَى ثقةٍ –وطيدةٍ هذهِ المرّةَ– أَنَّ جيراني سَيَحْذُونَ حَذْوي يوماً مَا ... وَلَوْ بعدَ تسعةَ عشرَ عاماً.

وَلكنْ ... هلْ سيسعِفُني عُمُري، وَأَنا منذُ سنتينِ .. قدْ بلغْتُ السّتّينَ؟!.

*

(87)– سِبَاقُ (إِعْلامٍ)

أمريكيٌّ وَرُوسيٌّ فقطْ، تسَابَقا، فَسبقَ الأَمْريكيُّ، فَصدرَتِ الصُّحفُ الأمريكيّةُ تحملُ النَّبأَ التّاليَ:

–في السّباقِ نَالَ الأمريكيُّ الدّرجةَ الأولى، وَجَاءَ الرُّوسيُّ في المرتبةِ الأخيرةِ.

أَمّا الصّحفُ الرُّوسيّةُ فصدرَتْ تحملُ الخبَرَ التّاليَ:

-فِي السِّباقِ فازَ الرُّوسيُّ بِالمرتبةِ الثّانيةِ، وَجَاءَ الأَمْرِيكِيُّ فِي المرتبةِ مَا قبلَ الأخيرةِ.

*

(88)- غَضْبَةُ الملِكِ

أصدرَ الملكُ أوامرَهُ السّريعةَ الصَّارمةَ: ((أَرْخُوا االسّتائرَ كُلّهَا، فلا أريدُ لأيِّ شعاعٍ أنْ يقتحمَ عليَّ قصري، أَوْصِدُوا النَّوافذَ فلا تتسلّلُ نسائمُ الصَّباحِ النديّةُ إِلَى أيِّ جزءٍ منْهُ، ارفعُوا الأسوارَ شَاهقةً، حتّى لا يصلَ إليَّ أيُّ طيرٍ، فَرَأْسي يَتَصدّعُ منْ تغريدِهَا)).

نفّذَ العسكرُ الأوامرَ كُلَّها تحتَ جُنْحِ الظّلامِ، وَعندَمَا أشرقَتِ الشَّمسُ في اليومِ التّالي غَمَرَ النُّورُ القَصْرَ، وَتراقَصَتْ شَجَراتُ الحديقةِ معَ النّسائمِ، وَراحَتِ الأطيارُ تَشْدو عَلَى الأَفنانِ.

اغتاظَ الملكُ فامْتَشَقَ رَشّيشَهُ وَراحَ يُطلقُ النّارَ حولَهُ، فَتَداعَتِ السّقوفُ وَالجدرانُ وَالنّوافذُ وَالشُّرُفاتِ ... وَدُفِنَ الملكُ تحتَ الرُّكامِ حيّاً.

*

(89)- تَصْفِيقٌ وَبُكاءٌ

دخلَتِ امرأةٌ القاعةَ الكبيرةَ الَّتي سَيُقامُ فيها مهرجانٌ خِطابيٌّ، وَعَلَى ذِراعيْهَا طفلٌ يبتسمُ، وَجلسَتْ، قالَتْ جارتُها:

-يَبْدُو صغيرُكِ هادئاً يا سيّدَتي.

قالَتِ الأمُّ: أجلْ يا سيّدَتي.

وَقالَتْ في سرِّهَا: أَمَّا إذَا سمعَ كَذِباً أَوْ نفاقاً فَيغدو حينَهَا لا يُطاقُ.
اعْتَلَى المسؤولُ المنبرَ وَجعلَ يقولُ:
-سنُعيدُ لِكلِّ مظلومٍ مَظْلِمَتَهُ، وَسَنُتيحُ لِكلِّ مَواطنٍ أنْ يُعلنَ رأيَهُ الصّريحَ، سنُحاسبُ كلَّ صاحبِ كرسيٍّ عَمّا اقترفَتْ يَدَاهُ، سَنُساوي في الحقوقِ وَالواجباتِ بينَ الكبيرِ وَالصّغيرِ .. حتّى ينعمَ مُواطنونا بِالحرّيّةِ وَالرّفاهِ ..
فَعَلا حينَهَا التَّصفِيقُ وَبُكاءُ الطّفلِ معاً، وَعَجِبَتِ المرأةُ جارتُها لِتقلُّبِ سلوكِ الصّغيرِ.

*

(90)-أَعْرَاضُ الحُبِّ

كثيراً ما أحسسْتُ أنِّي أحبُّ النّاسَ جميعاً، وَأَنَّ قلبي يتَّسِعُ حَتَّى لِمَنْ يكيدونَنِي.
لكنّي حينَ اعْتلّتْ صِحّتِي أكّد لي الطّبيبُ أنِّي مُصَابٌ بمرضٍ عُضالٍ هُوَ قاتلِي أخيراً، وعِلَّتِي هيَ:
تَضَخّمٌ في القَلْبِ.

انتهت

أصدرَ المؤلِّفُ الكتبَ التاليةَ:

1- **فنّ التعبير– للمتفوّقين.** - دار الإرشاد: حمص. (الطبعة الثّانية).

2-**المجتهد سبيل النجاح فِي اللّغة العربيّة**- دار الخطيب: حمص. (الطبعة السادسة) [نَفِدَ].

3- **مهاجرون وأنصار.** (جزءان) - دار الإرشاد: حمص. (الطبعة الثانية).

4- **معجم الإرشاد الأصغر** (عربي - عربي) - (مراجعة ضبط الموادّ بالشّكل)— دار الإرشاد: حمص.

5- **كرماء العرب.** — دار وحي القلم: دمشق.

6- **الرّقص على إيقاع الجرح.** (مجموعة قصص قصيرة) - دار الإرشاد: حمص [نَفِدَ].

7- **أَسهلُ الإملاءِ** — دار الإرشاد: حمص. (الطبعة الثانية).

8- (**الألفاظ الكتابيّة**) و (**الألفاظ المختلفة فِي المعاني المؤتلفة**) (شرح)- دار الإرشاد: حمص.

9- **أُصول الإنشاء والتّعبير** — دار المصطفى — دمشق. (الطبعة الثانية) [نَفِدَ].

10- **أمثال وحكم من أقوال الإمام علي بن أبي طالب** رضي الله عنه (شرح)- دار الإرشاد: حمص.

11- طاقيّة الإخفاء (العدد الأوّل): قصّة مسلسلة مفتوحة للأطفال- دار الإرشاد: حمص.

12-طاقيّة الإخفاء (العدد الثاني): قصّة مسلسلة مفتوحة للأطفال- دار الإرشاد: حمص.

13-الرّسمُ بالرّصاصِ: مجموعة قصص قصيرة جداً – دار الإرشاد: حمص.

14-المبشّرات بالجنّة: دار الإرشاد بالقاهرة.

15- فنّ التعبير والإنشاء: دار الإرشاد للنشر بالقاهرة.

16-قصص من تاريخنا: دار الإرشاد للنشر بالقاهرة.

الجوائز التي نالها:

1- عام (2002)، نَالَ **الجائزة الأولى** في المسابقة الأدبية التي يقيمها المكتب التنفيذي لنقابة المعلمين في (سورية)، عن قصته القصيرة (**الحصار**).

2- عام (2003) نالَ **الجائزة الثانية**، في المسابقة الأدبية التي يقيمها المكتب التنفيذي لنقابة المعلمين في (سورية)، عن قصته القصيرة (**شاطئ الأحلام**).

3- عامَ (2006) نالَ **الجائزة الثانية،** في مسابقة (عبد الباسط الصوفي) الأدبية التي يقيمها (المركز الثقافي في حمص)، عن قصته القصيرة (**اللوحات المشوهة**).

4- عام(2014) نال الجائزة الأولى في مسابقة القصّة القصيرة جداً التي أقامها ملتقى الأدباء والمبدعين العرب.

انتهى

كُتُبٌ للمؤلّفِ تحتَ الطباعةِ:

1-**صَحابِيٌّ وحديثٌ**: ترجمةُ ستة عشرَ صحابيّاً من صحابة رسول اللهِ ﷺ.

2-**غَبَشُ الذَّاكرة**: مجموعة قصص قصيرةٍ، وهذِهِ هيَ المجموعة القصصيّة الثّالثة للمؤلِّف.

3-**امرؤُ القيس ملكاً**: مسرحيّة تاريخيةٌ منْ خمسة فصولٍ عن حياة الشّاعر امرئِ القيسِ.

انتهت

